مفهـوم الانتحـار عنـد الرواقيـة الرومانيـة
"دراسة في الفلسفة التطبيقية"

د. أحمد مرتاح إبراهيم محمد
مدرس الفلسفة اليونانية بكلية الآداب–جامعة العريش

مستخلص البحث:

يُعد الانتحار مشكلة أخلاقيَّة اجتماعيَّة خطيرة، وظاهرة إنسانيَّة عامة صاحبت الوجود البشريَّ منذ البدايات الأولى وحتى اليوم، وقد سجل تاريخ الفلسفة الأخلاقي في بعض الأحيان تقييمات متعارضة للانتحار باعتباره ظاهرة أخلاقية اجتماعية، ومع تراجع قوة اليونان وتغيير القيم والمبادئ الأخلاقية، وظهور النزعة الفردية تغير موقف الفلاسفة تجاه مفهوم الانتحار؛ إذ أصبح عملًا أساسيًّا، وحق أصيل لكلِّ شخص في تقرير ما إذا كان يجب أن يستمر في العيش أم لا، وهذا ما ذهبت إليه الرواقية الرومانية؛ إذ وافقت على الانتحار، فجعلت الانتحار استجابة إيجابية أو منطقية للظروف والآفاق التي يمرُّ بها الفرد فهي تستبعد العيش في حياة بشرية ممتلئة بالشرور والآثام.

وتناول البحث **موقف الرواقية الرومانية من الموت**؛ إذ دعت إلى قبول الموت وعدم الخوف منه؛ لأنه إحدى ضروريات الحياة التي يقتضيها النظام الطبيعي، كما تناول أيضًا **الانتحار عندهم باعتباره برهان مطلق على التحرر**، كذلك تناول **مبررات الانتحار ودوافعه عندهم**؛ فعندما يفتقد الإنسان الملكات العقلية التي كانت ستبقيه في الحياة، فالنتيجة ستكون الانتحار، كما تناول البحث أيضًا **الانتحار والعيش وفقًا للطبيعة**؛ إذ رأت الرواقية الرومانية أنه في حالة عدم قدرة المرء على العيش وفقًا للطبيعة، يجب أن يكون الانتحارُ جديرًا بالثناء.

الكلمات المفتاحية: الانتحار، الرواقية الرومانية، الموت، الفضيلة، الحرية.

(ISSN: 2536 - 9555)

The concept of suicide in Roman Stoicism "A Study in Applied Philosophy"

Abstract:

Suicide is a serious problem of social morality and a common human phenomenon that has accompanied human existence from the very beginning to the present day, and the history of moral philosophy is contradictory. When noted conflicting assessments of suicide as a socio-ethical phenomenon took place, along with the decline of the Greek power, a change in the moral values and principles, and the emergence of individualism, the attitude of philosophers towards the concept of suicide changed, as it became a public issue and an inherent right of each person to decide to continue living. or not, and that's where Roman stoicism was born; if one decided to commit suicide, in this case it would consider suicide a positive or reasonable response to the circumstances because it precludes living a human life. full of evil and sin.

This study focuses on the Roman Stoic stance on death, as it calls for accepting death and not fearing it, as it is one of the necessities of life as required by the order of life. nature, and also considers suicide as absolute proof of liberation. In addition to addressing the reasons for suicidal behavior and its motives, when a person lacks the mental capacity to help them survive, the outcome will be suicide, and the research also focuses on suicide and living according to nature, as the Roman Stoics found that in cases where one cannot live according to nature, suicide is commendable.

Keywords: suicide, Roman stoicism, death, virtue, freedom.

مقدمة

يُعد الانتحار مشكلة أخلاقيَّة اجتماعيَّة خطيرة، وظاهرة إنسانيَّة عامة صاحبت الوجود البشريَّ منذ البدايات الأولى وحتى اليوم؛ ففي جميع الجماعات الإنسانية بحضارتها المختلفة أيًّا كان ترتيب وجودها الزمنيَّ، وأيًّا كان موقعها الجغرافيُّ يوجد بعض الأفراد الذين يَقدمون على الانتحار بصورة ما، وقد سجل تاريخ الفلسفة الأخلاقي في بعض الأحيان تقييمات متعارضة للانتحار باعتباره ظاهرة أخلاقية اجتماعية، فعلى سبيل المثال نجد أن أفلاطون وأرسطو رفضا الانتحار واعتبراه عملًا غير طبيعيٍّ يتعارض مع طبيعة الإنسان، ويلحق ضررًا لا يُمكن إصلاحه إلا بالدولة، وكان الانتحار في الثقافة اليونانية بمثابة إهانة للإله والدولة، أو لفتة مؤلمة بشكلٍ عامٍّ، ومع ذلك فإن التسامح الكبير تجاه الانتحار نجده واضحًا في العصور القديمة عندما كانوا يعتبرون الموت أمرًا طبيعيًّا.

ومع تراجع قوة اليونان وتغيير القيم والمبادئ الأخلاقية، وظهور النزعة الفردية تغير موقف الفلاسفة تجاه مفهوم الانتحار؛ إذ أصبح عملًا أساسيًّا، وحق أصيل لكلِّ شخص في تقرير ما إذا كان يجب أن يستمر في العيش أم لا، وكانت فلسفات الأبيقوريين والرواقيين من أهم الفلسفات المؤيدة للانتحار.

وقد كانت مذاهب الرواقية أكثر انسجامًا مع القيم الرواقية الرومانية التقليدية والمشاعر الأخلاقية للإرستقراطيين الرومان؛ إذ وافقت الرواقية الرومانية على الانتحار، وباعتبارها فلسفة تهتم بالجانب العملي التطبيقي في الأخلاق؛ فجعلت الانتحار استجابة إيجابية أو منطقية للظروف والآفاق التي يمرُّ بها الفرد فهي تستبعد العيش في حياة بشرية ممتلئة بالشرور والآثام.

وتكمن أهمية الدراسة في أنها تركز على قضية الانتحار عند الرواقية الرومانية؛ إذ انكشفت أخلاق الرواقية الرومانية في تعاليم الرواقيين العظام في هذه الفترة: "سينيكا، إبيكتيتوس، ماركوس أوريليوس"، ويتمثل هدفي من هذا البحث في فحص وتحليل مفهوم الانتحار عند الرواقية الرومانية، وكيف كان الانتحار عندهم مقبولًا كمبرر منطقي للبعد عن حياة اليأس، والتخلص من الظروف السيئة؟

(ISSN: 2536 - 9555)

- **إشكالية البحث**:

تتلخص إشكالية البحث في السؤال الآتي:

ما موقف الرواقية الرومانية من الانتحار؟ وهل هو نوع من الرذيلة، أم فضيلة قد تكون واجبة أحيانًا؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة عديدة:

١- ما موقف الرواقية الرومانية من الموت؟

٢- ما مفهوم الانتحار عند الرواقية الرومانية؟

٣- ما مبررات الانتحار ودوافعه عندهم؟

٤- كيف يتوافق مفهوم الانتحار عند الرواقية الرومانية مع مبدأهم "العيش وفقًا للطبيعة"؟

٥- ما الدور الذي يلعبه الانتحار عند الرواقية الرومانية في التقدم نحو الفضيلة؟

- **منهج البحث**:

أحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال اتباعي لبعض مناهج البحث المختلفة أهمها: المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن، والمنهج النقدي، ولا شكَّ أنها مناهج تستقيم مع موضوع الدراسة.

- **تقسيم البحث**:

وبناءً على ما تقدَّم قسَّمت البحث إلى مقدمة وأربعة عناصر، أما المقدمة فقد طرحت فيها التعريف بموضوع البحث، وأهميته والهدف منه، وكذلك إشكالية البحث، والمنهج المستخدم، **أما العناصر فهي كالآتي:**

أولًا: موقف الرواقية الرومانية من الموت.

ثانيًا: الانتحار برهان مطلق على التحرر.

ثالثًا: مبررات الانتحار ودوافعه.

رابعًا: الانتحار والعيش وفقًا للطبيعة.

ثم أنهيت ذلك كله بخاتمة أجملتُ فيها نتائج البحث العامة، ثم قائمة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها.

أولًا- موقف الرواقية الرومانية من الموت:

يُعدُّ الموت عند الرواقيين من الأشياء الوسطى، بمعنى أنها أشياء ليست خيّرة ولا شريرة في ذاتها، ولا حسنة ولا سيئة ولكنها بين هذا وذاك؛ إذ يُمكن أن تكون أمورًا طبيعية ويُمكن أن تكون نقيض ذلك، فالموت إذن مثل الفقر، والثراء، والألم، والمرض، فهي أمور وسطى ليست مهمة في حَدِّ ذاتها[١]، فالحكيم الرواقي هو إنسان لا يخاف الموت بل يحتقره؛ لأنه يحتقر الحياة نفسها، وهو يُفضِّل الموت ويُسرع إليه عندما يحس أن حريته وكرامته وحكمته في خطر[٢].

وقد ناقش سينيكا[*] مفهوم الموت في مؤلفاته المختلفة؛ إذ رأى أن الموت أمرًا طبيعيًّا فطريًّا، وهو نهاية الطريق لكلِّ بني البشر[٣]، وهو اكتشاف أرقى للطبيعة سواء قضى على سعادتنا، أو قضى على تعب إنسان مُسنٍّ، أو قطع حياة قصيرة لشاب في مقتبلها وهو يتوقع أشياء أفضل، أو أوقف طفولة قبل أن تصل لمراحل متقدمة، فموت كل امرئ هو نهايته؛ لذلك يرى أن الثناء على الموت واجب، ومن لا يثني على الموت هو شخص ناقص الوعي[٤].

---

[١] رينية هوفن: الرواقية والرواقيون إزاء مسألة الحياة في العالم الآخر، تقديم وترجمة وتعليق: د. أوفيليا فايز رياض، مراجعة: د. أحمد عتمان، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية، ١٩٩٩، صـ٤.

[٢] المرجع نفسه: صـ٥.

[*] فيلسوف رواقي روماني ولد في قرطبة بإسبانيا عام٥ ق.م وتوفي عام ٦٥ م. جوناثان ري، وج.أو. أرمسون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنجليزية: د. فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، راجعها وأشرف عليها: د. زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، صـ١٩٠.

[٣] سينيكا: عزاء إلى ماركيا، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية: هاري هينه، ضمن كتاب محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ط١، ف (١١-٢)، صـ٥٧.

[٤] المصدر نفسه: ف (٢٠-١)، صـ٧٣.

(ISSN: 2536 - 9555)

هكذا جعل سينيكا الموت قانونًا طبيعيًّا فطريًّا حتميًّا؛ إذ إنَّ الإنسان عنده ليس ملكًا لنفسه بل ملكًا للطبيعة، فالطبيعة لم تمنح ملكية الأخ أو الأخت بل أعارتهم لك، وتطلب منهم العودة إليها حين يناسبها ذلك، ولا تهتم بفاعلية استمتاعك بهذا بل هو قانونها الحتمي(٥)؛ فمن ينزعج من رد المال المقرض إليه فهو شخص غير منصف على الإطلاق، وكذلك الطبيعة تطلب الدَّيْنَ من المرء ولا تلام على ذلك، ولكن اللوم يقع على آمال العقول البشرية الجشعة التي تنسى مرارًا ماهية الطبيعة(٦).

ويعرِّف سينيكا الموت بأنه" تَحررٌ من كلِّ ألمٍ، وحَدٌّ لا يُمكن تجاوزه؛ إذ يُعيدنا لحالة السلام التي كنا نرقد فيها قبل الميلاد، فكل من يشعر بالشفقة على الميت ينبغي أن يشعر بالشفقة على من لا يولد، كما يرى أيضًا الموت ليس خيرًا وليس شرًا، فالشيء يُمكن أن يكون خيرًا أو شرًا، ولكن هو في حد ذاته ليس شيئًا؛ لأن الموت يختزل كلَّ شيء إلى لا شيء، ولا يتركنا في رحمة الحظ، ولكن الخير والشر يُبقيانِ على بعض الموجودات المادية، ولا يمكن للحظ أن يقبض على ما اعتقته الطبيعة(٧).

ويؤكد سينيكا أن الموت راحة وحرية، ونجوى من كلِّ الشرور؛ لأنه استمتاعٌ بالسماء المطلقة، يقول في ذلك– حين فقد بوليبوس(*) أخاه– "فلا تحسد أخاك على حاله، فهو في حالة الراحة على الأقل، وهو حُرٌّ ومأمون وأبدى، إنه نجا من قيصر

(٥) سينيكا: عزاء إلى بوليبوس، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية: هاري هنيه، ضمن كتاب محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ط١، ف (١٠-٤)، صـ١٤٣، صـ١٤٤.

(٦) سينيكا: عزاء إلى بوليبوس، ف (١٠-٥)، صـ١٤٤.

(٧) سينيكا: عزاء إلى ماركيا، ف (١٩-٥)، صـ٧٢.

(*) أحد الأحرار الذين أدوا دورًا مهمًّا في القصر الإمبراطوري في عهد كلاوديوس إمبراطور روما، خلال الفترة من عام ٤١م إلى عام٥٤م، وكان مسؤولًا عن الوثائق ولاسيما الالتماسات؛ وبسبب موت شقيقه كتب سينيكا رسالته" عزاء إلى بوليبوس" عام ٤٣م. سينيكا: عزاء إلى بوليبوس، صـ١٢٧.

وذريته، ونجا منك وإخوتك الذين تقاسمهم، وقبل أن تسحب الثروة طرفًا من فضله، فإنه تخلى عنها في حين أنها ما تزال بجانبه ويكوم العطايا بأيدي المَنِّ"[٨]، ويستمر سينيكا في حديثه: "إنك مخطئ إن أخاك لم يُسلب ضياؤه، بل اكتسب نورًا أنقى، وكلنا نتشاطر الرحلة هناك، فلماذا نولول على الميت؟! فهو لم يفارقنا بل مضى قُدمًا للأعالي، صدقني، إن في حتمية الموت سعادة بالغة"[٩].

ويرى سينيكا أيضًا أنَّ الموتَ هو نوع من العتق والخلاص من كلِّ هَمٍّ وغَمٍّ، وهذا ما يظهر في حديث ديانيرا[**] مع مربيتها في مسرحية "هرقل فوق جبل أويتا".

المربية: "أَتوسلُ إليكِ ضارعة أن
تتخلي عن تهديداتك المتفجرةِ الصَّادرةِ عن قَلْبَكِ
الجريح، اطرحي قراراك المرعب بالموتِ القاسي".

ديانيرا: "بل القاسي ذلك الذي يمنع مُعَذَّبًا من الموت، فإذا
كان الموتُ في بعض الأحيان عِقَابًا، فهو في أغلبِ الأحوالِ
يكونَ ثَوابًا، وقد كانَ لكثيرٍ من الناس ضَرْبًا من
العتق والخلاص"[١٠].

ويشبّه سينيكا الموت برحم الأم الذي يَحمِل الإنسان تسعة أشهر، ويعده ليس لنفسه وإنما للمكان الذي سوف نُلقى فيه حينما تكون لدينا القدرة على التنفس وتحمُّل الهواء الطلق، وهكذا فإن الفترة التي تمتد من العمر الأول إلى الشيخوخة تجعلنا ننضج من أجل ولادةٍ جديدةٍ، فالطبيعة تجردنا في البداية كما في النهاية، وليس لك

---

[٨] سينيكا: عزاء إلى بوليبوس، ف (٩-٧)، صـ١٤٢.

[٩] المصدر نفسه: ف (٩-٨)، صـ١٤٢، صـ١٤٣.

[**] أحد شخصيات المسرحية، وهي زوجة هرقل، وكانت في أواخر الثلاثينات من عمرها.

[١٠] سينيكا: هرقل فوق جبل أويتا، ترجمة وتقديم: د. أحمد عتمان، مراجعة: د. عبد اللطيف أحمد علي، سلسلة من المسرح العالمي تصدر عن وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨١، ف٩٢٠، ف ٩٣٠، صـ١٦٦.

(ISSN: 2536 - 9555)

الحق أن تنقل أكثر مما كان معك، ويجب عليك أن تترك جزءًا كبيرًا مما كان معك عند وصولك إلى العالم الآخر، وسوف ينتزع منك هذا الكساء من الجلد، وآخر غلاف لبدنك، وسوف ينتزع منك اللحم والدم، كما ينتزع منك العظام والأعصاب، واليوم الذي سوف تظن فيه أنه اليوم الأخير لوجودك سيكون هو يوم ميلادك في الأبدية(١١).

ويُشير أيضًا إلى المخاوف الكثيرة لدينا، ومن أهمها الخوف من الموت، ويرى أنه مع هذه المخاوف لا يُمكننا أن نكون أحرارًا ومتحكمين في أنفسنا(١٢)؛ إذ إنَّ البكاء عند الميلاد والخروج إلى الوجود يُمكن غفرانه؛ لأنك تصل إلى الوجود بلا معرفة أو تجربة، ولكن حينما يحين آوان "الميلاد الجديد" فإننا ينبغي أن نتطلع إليه بلا تردد؛ لأنَّ تلك هي الساعة الحاسمة التي تعني نهاية الجسد، ولكنها ليست نهاية النفس(١٣).

ولكن ما أهم أسباب عدم الخوف من الموت عند سينيكا؟ يرى سينيكا أن السبب في ذلك أن الميت لا يشعر بأي معاناة، وأن ما ذُكر عن العالم السفلي المرعب هي أمور خرافية لا أساس لها من الصحة؛ إذ يقول في عزاء إلى ماركيا:" وعليكِ أن تدركي أن الموت لا يشقى بأي معاناة وأن الأشياء التي تُصنع من العالم السفلي المرعب هي مجرد خرافات، فليس من ظلام يُخيِّم على الموتى، ولا سجن، ولا أنهار تشتعل بالنار، ولا نهر للنسيان، ولا محاكم للقانون، ولا تفويض للحرية من قبل الطغاة، لقد انغمس الشعراء في هذه الأوهام وطاردونا برعبٍ أحمق(١٤).

ويعتقد سينيكا أن أفضل طريقة لنا للتغلب على مخاوفنا والحصول على الحرية هي التفكير في هذه المخاوف باستمرار ورؤيتها من المنظور المناسب؛ لذلك حثنا

---

(١١) رينية هوفن: الرواقية والراقيون إزاء مسألة الحياة في العالم الآخر، صـ١٢٧.

(12) Walter Englert: Seneca and the stoic view of suicide, An essay in the society for Ancient Greek philosophy, 1990, p. 15.

(١٣) جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، القاهرة، ١٩٤٨، صـ٨١.

(١٤) سينيكا: عزاء إلى ماركيا، ف (١٩-٤)، صـ٧٢.

سينيكا مرارًا وتكرارًا على التأمل في الموت والتفكير فيه، وكذلك التأمل في الأحداث المخيفة، حتى نفقد الرعب الخاص بهما، وقد عُرفت هذه التقنية باسم Preameditatio malorum أو التفكير في الشرور قبل وصولها، وكانت هذه وسيلة مهمة يستخدمها الرواقيون للتغلب على القلق بشأن الشرور المحتملة في المستقبل(١٥).

إنَّ الحكيم الرواقي كما يصوره سينيكا في شخص هرقل، وكما قدمه في مسرحية "هرقل فوق جبل أويتا" لا يخاف الموت؛ فقد نزل هرقل في هذه الأسطورة وفي هذه المسرحية إلى هاديس (العالم الآخر) لا لمجرد أن يُرى كمتفرج، وإنما لكي يغزو ويقهر كفاتح؛ إذ قهر الموت– أي الخوف من الموت– داخل نفسه، ثم حرر الناس جميعًا من هذا الخوف الغريزي وعاد من العالم السفلي سالمًا غانمًا، ومعه أفضل الأسلاب، وتعنى أنه أحضر الكلب "كيربيروس" نفسه وهو حارس العالم السفلي، وكذلك أحضر معه البطل ثيسيوس(*)، وفي المعارك التي خاضها في العالم السفلي خاف منه إله الموت نفسه(١٦).

وقد تناول سينيكا مفهوم الموت باعتباره نوعًا من التطهير وذلك في "مسرحية فايدرا"؛ إذ تقول فايدرا(**) في حديثها مع مربيتها:

---

(15) Walter Englert: Op. Cit. p. 15.

(*) ابن إيجيوس ملك أثينا الأسطوري الذي خلَّص أثينا من العديد من الشرور والأخطار، وقيل إنه ابن بوسيدون، وصديق هرقل الحميم الذي أنقذه الأخير من قيود العالم السفلي؛ إذ كان حبيسًا فيه. انظر: سينيكا: هرقل فوق جبل أويتا، صـ٢٣٤.

(١٦) سينيكا: هرقل فوق جبل أويتا، ف٧٦٠، صـ١٥٧. وأيضًا: المصدر نفسه: صـ١٠٠ (المقدمة)، وأيضًا: رينية هوفن: الرواقية والرواقيون إزاء مسألة الحياة في العالم الآخر، صـ٥.

(**) زوجة الملك ثيسيوس اللاحقة بعد مقتل أنتيوبي والدة هيبوليتوس. انظر: سينيكا: مسرحية فايدرا، ضمن كتاب مسرحيات " ميديا، فايدرا، أجاممنون"، ترجمة: د. عبد المعطي شعراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢، صـ٢١١.

(ISSN: 2536 - 9555)

"لم يفارق نفسي الطيبة كُلُّ إحساس بالخَجْلِ
إنني مُطيعةٌ أيتها المربية، فليقهر الحب الذي يريد
ألا يقهر. أيتها السمعيةُ الطيبةُ، لن أَسْمحَ بالإساءةِ إليكِ
هناك وسيلةٌ وحيدةٌ لكي تهربَ نفسٌ واحدةٌ من الشرّ
سوف ألحق بزوجي، سوف أُكَفِّرُ عن خطيئتي بالموتِ"[١٧].

وفي نهاية المسرحية تعاتب فايدرا نفسها وتقول:

"أيها الموت، أنت السَّلوى الوحيدة من حب دنس!
أيها الموت، أنت أعظم فضل لشرف ملوَّث!
إنني ذاهبة إليك، افتح لي صدرك الغفور"[١٨]!

ومن خلال ما سبق نجد أن الموت عند سينيكا أمرٌ فطريٌّ طبيعيٌّ، وراحة وتطهير من كل الشرور، وقد انتقل هذا المفهوم إلى ثاني فلاسفة الرواقية الرومانية" إبيكتيتوس"[*]، ولكن هل اختلف مفهوم إبيكتيتوس عن الموت عنه عند سينيكا؟ إنَّ تصور إبيكتيتوس للموت لا يختلفُ كثيرًا عن تصور سينيكا[١٩]؛ فالموت عند إبيكتيتوس ليس شيئًا مفزعًا، واستدل بنظرة سقراط له، ولكنه يرى أن الفزع يكمن في مفهومنا عن الموت؛ أي إن هذا المفهوم هو المفزع فليس الموت أو الألم هو الشيء المخيف، وإنما خشية الألم أو الموت[٢٠].

يقول إبيكتيتوس موضحًا ذلك:" ليست الأشياء ذاتها هي التي تزعج الناس، بل إن ما يزعجهم هو حُكمهم على هذه الأشياء؛ فعلى سبيل المثال: الموت ليس شيئًا مزعجًا ومروعًا، وإلا لنظر إليه سقراط كذلك أيضًا، بيد أن الحكم بأن الموت هو

---

[١٧] سينيكا: مسرحية فايدرا، ف ٢٥٠، صـ٢٣٣.

[١٨] المصدر نفسه: ف ١١٨٥، ف ١١٩٠، صـ٢٩٣.

[*] فيلسوف رواقي روماني وِلد نحو عام ٥٥م وتوفي نحو عام١٣٥م. انظر: جوناثان ري، وج.أو. أرمسون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، صـ١٦.

[١٩] د. أمل مبروك: فلسفة الموت، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠١١، ص٧٧.

[٢٠] جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، صـ٨٣.

شيء مُزعج، فسيكون هذا الحُكم هو المزعج؛ لذا فعندما ننزعج أو نحزن دعنا لا نوجه اللوم لأي أحد فيما عدا أنفسنا، وذلك يعني أن نلوم أحكامنا؛ لأن دور الشخص غير المتعلم هو أن يلوم الآخرين، على الرغم من أنه يخفق ولا يحقق نجاحًا، ودور الشخص الذي في بداية تعليمه أن يلوم نفسه، ودور الشخص الذي أكمل تعليمه قبل الآن ألا يلوم الآخر ولا نفسه(٢١).

ويذهب إبيكتيتوس في حديثه مع تلميذه ديوجين Diogenes إلى أن الموت ليس شرًّا؛ لأنه ليس عارًا(٢٢)، فهو أمرٌ فطريٌّ طبيعيٌّ، ويقول في ذلك:" إذا كنت تحمل حُمّى شديدة، فمتى يمكن القول بأنك قد قمت بدورك كمريض؟ إنه يعني عدم إلقاء اللوم على الإله أو الإنسان، وعدم الانهيار بما يحدث، وانتظار الموت بروح صحيحة، وفعل ما يطلب منك عند دخول الطبيب بدون أي خوف، فإذا قال لك الطبيب إنك تعمل بشكلٍ سيئ، ماذا يعني العمل السيئ؟ يعني الاقتراب من الرحيل، أي انحلال الروح من الجسد، ما الذي تخشاه في ذلك؟! إذا لم تقترب الآن، أفلا تقترب فيما بعد؟ هل سيقلب العالم رأسًا على عقب بموتك؟ فالجسد ليس لك، فهو ميت بشكلٍ طبيعيٍّ"(٢٣).

إذن من خلال النص السابق نجد أن الموت عند إبيكتيتوس لا يجب الخوف منه؛ لأنه أمرٌ طبيعيٌّ فطريٌّ، كما أنه من الأمور التي تقع خارج سيطرتنا؛ إذ قسَّم إبيكتيتوس الأشياء إلى قسمين: ثمة أشياء تقع تحت سيطرتنا، في حين توجد أشياء أخرى لا تقع تحت سيطرتنا، فما يقع تحت سيطرتنا هو الاختيار والإدراك والرغبة والنفور، أي كل ما هو من فعلنا، أما ما لا يقع تحت سيطرتنا فهو أجسادنا؛ فالجسد وفناؤه ليس من الأمور التي تقع تحت سيطرتنا، وباختصار كل ما لا يكون من فعلنا(٢٤).

(21) Epictetus: The manual, with and English translation by W.A. Old Father, Harvard University Press, London, 1959, proposition (5), pp. 487-489.
(22) Epictetus: The Discourses, Translated by P.E. Matheson, Global Gray, 2018, B(I), Ch.(24), p. 63.
(23) Epictetus: The Discourses, B(3), Ch.(10), p. 204.
(24) Epictetus: The manual, proposition (1), p. 483.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويترتب على هذه النظرة أن الموت من الأمور التي لا تقع تحت سيطرتنا، فيجب على المرء أن يرضى بقدره، وهذا يتطلب تدريبًا للإرادة على الرضا، وتقبلًا لكل الأحداث بلا تذمُّر؛ لأن كل الأشياء لا تقع تحت سيطرة الإنسان، ورغم ذلك لا تستطيع أي قوة خارجية أن تكسر تلك الإرادة، فإذا فطن الإنسان إلى ذلك، وإلى التمييز بين ما في قدرته وما ليس في قدرته عاش في راحةٍ وهدوءٍ وسلامٍ[٢٥]. ويقول إبيكتيتوس في ذلك:" لو جعلت رغبتك في أنه يجب أن يعيش ويحيا أطفالك وزوجتك وأصدقاؤك إلى الأبد فأنت أبله ساذج؛ لأنك تجعل رغبتك في أن الأشياء التي لا تقع تحت سيطرتك، يجب أن تكون تحت سيطرتك، وأن ما ليس لكَ يجب أن يكون لكَ"[٢٦].

هكذا جعل إبيكتيتوس الموت من الأمور الطبيعية التي تقع خارج سيطرة الإنسان، ومن ثَمَّ وجب التسليم به، والاستعداد لملاقاته بابتهاج، وقد تأثر إبيكتيتوس ومن قبله سينيكا في مفهومهما عن الموت بالفلسفة الأبيقورية وخاصة لوكريتيوس Lucretius[*]؛ إذ أكد لوكريتيوس أن الموت أمرٌ طبيعيٌّ حتميٌّ، فهو كأس دائرة على الجميع، فلماذا العويل والبكاء على أمر قادم لا محالة؟ ويقول في ذلك:" فضلًا عن ذلك، ما هذه الرغبة الضارة والعارفة في البقاء في الحياة، تلك التي تدفعنا إلى أن نظل في رعبٍ شديدٍ في أوقات المحن غير الحقيقية، أجل هناك نهاية حتمية للبشر، كما أنَّ الموت لا يمكن الفرار منه فلابد أن نلاقيه"[٢٧].

---

[٢٥] د. طارق عبد المحسن: الفلسفة العملية عند إبيكتيتوس الرواقي، مراجعة وتقديم: د. مصطفى النشار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥، صـ١١٦.

[26] Epictetus: The Manual , proposition (14), p.493.

[*] فيلسوف وشاعر روماني وِلد نحو عام٩٩ ق.م، وتوفي نحو عام ٥٥ ق.م. انظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦، صـ٥٩٤، مادة(لوكريتيوس).

[٢٧] لوكريتيوس: في طبيعة الأشياء، ترجمة: د. علي عبد التواب، د. صلاح رمضان السيد، د. سيد أحمد صادق، مراجعة وتقديم: د. عبد المعطي أحمد شعراوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٨، ط١، ك٣، ف ١٠٧٥، ف ١٠٨٥، ف ١٠٩٠، صـ٣١٤، صـ٣١٥.

ويشبِّه لوكريتيوس الخوف من الموت بمخاوف الأطفال؛ إذ إنَّ أفكارهم غير واضحة ومخاوفهم غير مبررة وغامضة، فَهُم لا يعرفون الكثير عن العالم وكيف يسير، فالعالم يحتاج إلى كثير من الوقت والخبرة لاستيعاب العلم والمعرفة، كما إن مخاوف البالغين من الموت وآراءهم عنه مشوشة وكاذبة، والعلاج هو المعرفة والعلم؛ فما دام الناس في جهل بطبيعة الروح، فسوف يستمرون في الخوف سواء من أجل تدميرها أو من أجل بقائها، وبمجرد معرفة حقيقة الروح وطبيعتنا سيتغير موقفنا العاطفي تجاهه(٢٨).

وإذا انتقلنا إلى ماركوس أوريليوس(*)– ثالث أعلام الرواقية الرومانية– نجد أن كتابه "التأملات"، يُعدُّ مجموعة تأملات في الموت ولا شيء آخر على وجه التقريب، فقد أصبح تأمل النشاط الإنساني بالنسبة إليه كشفًا للزوال السريع للموت وبرهانًا مستمرًا على التفسخ والتحلل، ولم تكن رؤية الحياة على أنها نوع من الموت جوهر فلسفته فحسب، وإنما جوهر حياته اليومية كذلك(٢٩).

ويعرِّف ماركوس أوريليوس الموت بأنه تحرر من الاستجابة للحواس، ومن خيوط دُمى الرغبة، والعقل التحليلي، وخدمة اللحم(٣٠)، وقد يعنى ذلك أن الموت خلاصٌ للروح من سجن الجسد، كما يرى الفيثاغوريون وأفلاطون، ولا يعني ذلك أن هناك انتقال من حالٍ إلى حالٍ بالموت(٣١). ويتساءل في كتابه التأملات عن الموت

---

(28) Peter Aronoff: Lucretius and The Fears of death, A Dissertation presented to the Faculty of The Graduate School of Cornell University in partial Fulfillment of the Requirements for the degree of doctor of Philosophy, 1997, pp. 7-8.

(*) فيلسوف رواقي روماني وِلد نحو عام ١٢١م، وتوفي نحو عام ١٨٠م. انظر: جوناثان ري، وج.أو أرمسون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، صـ٢٩٦.

(٢٩) جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، صـ٨٤.

(٣٠) ماركوس أوريليوس: التأملات، ترجمة: د. عادل مصطفى، مراجعة وتقديم: د. أحمد عتمان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠، ط١، ف (٦–٢٨)، صـ١٢١.

(٣١) د. حمادة أحمد علي: فكرة الموت في فلسفة ماركوس أوريليوس، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بقنا، العدد (٤٠)، المجلد الثاني، ٢٠١٣، صـ٥٤١.

(ISSN: 2536 - 9555)

وطبيعته، ويجيب بأن من يتأمل الموت في ذاته ويحلله تحليلًا عقليًا ليجرده مما يرتبط به من دلالات، سوف يخلص إلى أنه لا يعدو أن يكون وظيفة طبيعية، ومن يرتاح لوظيفة من وظائف الطبيعة فهو طفل غرير، وليس الموت وظيفة طبيعية فحسب، بل إنه أيضًا خير للطبيعة ولصالحها[٣٢].

ولهذا رفض ماركوس أوريليوس أن يحتقر الإنسان الموت، بل الواجب عليه أن يرحب به، لأنه جزءٌ مما تريده الطبيعة، ويقول في ذلك: "أن ننظر للموت بنفس منشرحة على أنه مجرد انحلال للعناصر المكونة لكل شيء حي، فإذا لم يكن هناك بأسٌ في التحرك الدائم للعناصر من عنصر إلى آخر، ففيمَ التوجُّسُ من تغير العناصر جميعًا وانحلالها؟ ذلك شيء موافقٌ للطبيعة، ولا ضرر قطعًا في أيّ شيء موافق للطبيعة[٣٣]"، ويقول في موضع آخر:" الموت شأنه شأن الميلاد، وسر من أسرار الطبيعة تضام، ثم انحلال للعناصر نفسها، فلا عار في الأمر بكل تأكيد، فلا شيء فيه مناقض لطبيعة الكائن العاقل أو مناقض لمبدأ تكوينه"[٣٤].

ويُفهم من ذلك أن الموت عنده ليس عيبًا في الإنسان؛ لأنه من طبيعته وليس مضادًا للطبيعة؛ لأنه يتفق معها وليس للإنسان خيار فيه؛ لذلك يقول ماركوس أوريليوس:" وكل ما ينفع العالم فهو حسن وفي إبانه؛ لذا فلا بأس على الإطلاق بأن تنتهي حياة كل منا، فلا النهاية عيب ولا اختيار، ولا هي ضد الصالح العام بل هي خير؛ إذ تقع في التوقيت الملائم للكل، وتصب في صالحه وتنسجم معه، وكذلك يمشي المرء بعون الرب إذا مضى باختياره ووجهته على طريق الرب"[٣٥].

ويذهب ماركوس أوريليوس مذهب أبيقور في تعريفه للموت بأنه انحلال للعناصر المكونة لكلِّ شيء حي؛ إذ جعل أبيقور الموت أمرًا طبيعيًّا، وانحلالًا للعناصر المكونة للطبيعة الحية، فإذا كانت العناصر لا يصيبها أي ضرر من تبدلها المتتابع،

---

[٣٢] ماركوس أوريليوس: التأملات، ف (٢-١٢)، صـ٤٩، صـ٥٠.

[٣٣] المصدر نفسه: ف (٢-١٧)، صـ٥٣.

[٣٤] المصدر نفسه: ف (٤-٥)، صـ٧٢

[٣٥] المصدر نفسه: ف (١٢-٢٣)، صـ٢٤٧.

فلماذا يتوقع الإنسان أي أذى من تحول الكل وتحلله؟ فالموت شيءٌ موافقٌ للطبيعة، ولا يُمكن أن يكون الشيء الطبيعي شرًا"[٣٦].

وقد قدَّم لنا ماركوس نصوصًا أخرى يوضح فيها ماهية الموت وطبيعته، ويربط فيها تصور الناس للأعمار والموت، ويرى فيها أن طول العمر متساوٍ مع قصره؛ فالنهاية محتومة، ويقول: "حتى لو قُدِّر لك أن تعيش ثلاثة آلاف عام، أو عشرة أضعاف ذلك، فاذكر دائمًا أن لا أحد يفقد أيّ حياة غير تلك التي يحياها، أو يحيا أي حياة غير تلك التي يفقدها؛ فاللحظة الحاضرة واحدة في الجميع، ومن ثَمَّ فإن ما ينقضي مُتَساوٍ أيضًا، ويتبين إذن أن الفقدان إنما هو فقدان لحظة لا أكثر؛ لأن المرء لا يمكن أن يفقد الماضي ولا المستقبل، فكيف يُمكن أن يُسلب منه ما ليس يملك؟!"[٣٧].

وربما لم يكن هناك من بين الفلاسفة الأقدمين من يعي مثل هذه الصورة المؤلمة وهي القابلية للفناء والطابع المؤقت للأشياء كهذا الفيلسوف الإمبراطور؛ فالموت يلقي ظلاله على نظرته بأكملها للعالم، ويمتد فيتجاوز المصير الفردي وصولًا إلى مصير البشرية، والقانون الأسمى للتاريخ من منظوره هو زوال العظمة الأرضية؛ إذ يُشير باستمرار إلى سقوط الحكام والإمبراطوريات العظيمة[٣٨].

إن سرعة زوال الحياة– عند ماركوس أوريليوس– هو الذي يجعلها مجردة من القيمة الكلية، ويرى أن الزمان في الحياة البشرية ليس إلا نقطة، كما أن الجوهر في تغير مستمر والإدراك متبلد، وليس تركيب الجسم بأسره إلا موضعًا للتعفن، والنفس فيه دوامة، والمصير أمرٌ يصعب التكهن به، والشهرة شيءٌ مجردٌ من الحُكم الصائب، ولنلخص الأمر كله في كلمة، فإن كل شيء ينتمي إلى الجسم هو مجرى متدفق وما ينتهي إلى النفس حلم ووهم، والحياة حرب ومقام غريب، وعقب الشهرة

---

[٣٦] هنري توماس، دانالي توماس: المفكرون من سقراط إلى سارتر، ترجمة: عثمان نوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠، صـ٨٧.

[٣٧] ماركوس أوريليوس: التأملات، ف (٢–١٤)، صـ٥١.

[٣٨] د. حماده أحمد علي: فكرة الموت في فلسفة ماركوس أوريليوس، صـ٥٤٨.

(ISSN: 2536 - 9555)

حتمًا سيأتي النسيان[٣٩].

وقد كان ماركوس أوريليوس يؤمن بالارتباط الوثيق أو الصلة الطبيعية التي تربط الإنسان بالكون العام أو العالم في وحدة عضوية؛ فالإنسان جزء من الكون وما يقع له أمر ضروري الحدوث، ومن ثَمَّ يجب عليه أن يتلقى ما يحدث له بصبرٍ واحتمالٍ، وأن يقبل الموت راضيًا باعتباره أحد ضروريات الحياة التي اقتضاها النظام الطبيعي، وأن يُغادر الحياة وقلبه مُفعم بالسرور والشكر والعرفان بالجميل لمن أوجده وأنضجه؛ فالموت عند ماركوس أوريليوس جزء من الأشياء التي تريدها الطبيعة؛ لذا يُرحب به ولا يحتقره[٤٠].

ويلاحظ هنا أن أوريليوس متأثرٌ إلى حدٍّ كبيرٍ بسقراط الذي أكد في محاورة فيدون أن الفيلسوف الحق لا يهاب الموت، وإنما دائب السعي وراء الموت، وما الموت سوى انفصال النفس عن الجسد[٤١]؛ إذ قال سقراط في فيدون: "وأنت إذا رأيتُ رجلًا يجزع من اقتراب الموت كان جزعه دليلًا قاطعًا على أنه ليس محبًّا للحكمة، ولكنه محبٌّ للجسد، وربما كان في الوقت نفسه محبًّا للمال أو القوة أو كليهما"[٤٢].

والنتيجة الحتمية عند ماركوس أوريليوس من تأمل مسألة الموت هي حكمة أخلاقية مفادها كما يقول: "لا تتصرف كما لو كنت سوف تُعَمِّر آلاف السنين؛ لأن الموت يترصدك، وما دمت حيًّا، وما دمت قادرًا، فكن خيّرًا"[٤٣].

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن فلاسفة الرواقية الرومانية (سينيكا، وإبيكتيتوس، وماركوس أوريليوس) دعوا إلى قبول الموت وعدم الخوف منه؛ لأنه

---

[٣٩] جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، صـ٨٥.

[٤٠] د. حربي عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان (العصر الهيللينستي)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٢١، صـ٤٨.

[٤١] أفلاطون: محاورة فيدون، ضمن كتاب محاورات أفلاطون، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، تصدير: د. مصطفى النشار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢، صـ١٣١، صـ١٣٢.

[٤٢] المصدر نفسه: صـ١٣٧.

[٤٣] ماركوس أوريليوس: التأملات، ف(٤–١٧)، صـ٧٥.

إحدى ضروريات الحياة التي يقتضيها النظام الطبيعي، ولا داعي للخوف منه؛ فهو راحة وعتق وخلاص من كل شرور الدنيا، وحرية وتحرر من أوهام الحياة، ونوع من التطهير النفسي من دنس الوجود، وليس شيئًا مُفزعًا مُخيفًا، بل يجب أن نرحب به دون أدنى خشية منه؛ لأنه من الأمور الطبيعية التي تقع خارج سيطرة الإنسان، ومن ثَمَّ وجب الاستعداد له والتسليم به، فهو مجرد انحلال للعناصر المكونة للطبيعة الحية، وقد كان مفهوم الرواقية الرومانية عن الموت له الدور الحاسم في تقبلهم لفكرة الانتحار باعتبارها نوعًا من البرهان المطلق على التحرر.

إنَّ الموت ظاهرة معانقة للحياة نفسها؛ إذ إنه متداخل في صميم الوجود الواعي للإنسان، كما أن الحياة نفسها ماهي إلا دفن مستمر لأجزاء من ماضينا وشخصيتنا وتجاربنا وحالاتنا النفسية، ولكن مفهومنا عن الموت وقبوله ليس تمهيدًا لقبول الانتحار كما أقرت به الرواقية الرومانية، بل هو قبول لمظهر أساسي من مظاهر الحياة وانتظار مستمر للحظة النهاية.

وقد انتقل مفهوم الرواقية الرومانية من الموت وعدم الخوف منه إلى العصور الوسطى؛ حيث أكدت المسيحية بأن الموت خير من الحياة[٤٤]، واعتاد باسكال[*] في تعريفه للحياة المسيحية الحقة أن يقول حينما أعاني ألمًا واضطرابًا عظيمين لا تشفقوا عليّ؛ فالمرض هو الحالة الطبيعية بالنسبة إلى المسيحي، وهو الحال الذي ينبغي أن يكون فيها دائمًا، وحالة المعاناة والحرمان من كل مباهج الحواس، والتجرد من العواطف دون طموح، وبغير حب للمال، وفي توقع مستمر للموت، أليس ذلك هو النحو الذي على المسيحيين أن يقضوا فيه حياتهم؟ أليست نعمة كبرى أن يجد المرء نفسه بالضرورة في وضع ينبغي عليه أن يكون فيه، وليس له خيارٌ آخر غير الإذعان في تواضع؟ غير أن هذا التوقع المستمر للموت ليس انتظارًا للموت باعتباره محررًا من الألم ومعاناة الوجود الأرضي فحسب، بل إن المسيحي يعلم أن موت الجسد هو بداية حياة جديدة مع الإله[٤٥].

---

[٤٤] جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، صـ١٠٦.

[*] Pascal فيلسوف فرنسي وُلد عام ١٦٢٣م وتُوفي عام ١٦٦٢م.

[٤٥] جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، صـ١٣٧، صـ١٣٨.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويذهب إسبينوزا(*) أيضًا إلى أن الإنسان الحُرَّ لا يفكر إلا في الموت، وكذلك هيدجر(**)، وسارتر(***)، ومعظم الوجوديين، يحثوننا على تنمية الوعي بالموت بشكلٍ رئيس، وأنه وسيلة لزيادة إحساسنا بالحياة(٤٦).

ثانيًا- الانتحار برهان مطلق على التحرر:

لقد انتشرت فكرة الانتحار في عصر الإمبراطورية الرومانية وخاصة عند رواقي الرومان(٤٧)؛ إذ ناقشوا مفهوم الانتحار في سياق الواجبات التي تنطبق على جميع الرجال الحمقى والحكماء؛ فالانتحار عندهم مثل جميع الواجبات يُمكن أن يقوم به جميع الرجال عندما تكون الظروف مناسبة، فمن واجب الحمقى مثل الحكماء التضحية بأنفسهم من أجل بلدهم أو من أجل أصدقائهم، لكن الرجل الحكيم الرواقي وحده هو الذي سيعرف بدقة شديدة متى يجب عليه الانتحار باعتباره واجبًا أخلاقيًّا في ظروف وأوقات معينة(٤٨).

ولكن ما السبب الرئيس الذي جعل الرواقيين مهتمين بقضية الانتحار؟ السبب في ذلك أن قضية الانتحار –عندهم– تُعدُّ رمزًا قويًّا للفلسفة التي استطاعت أن تعلو فوق أساليب المجتمع الأنانية المسرفة؛ فالإنسان الرواقي كان يزعم أنه لا يرى أهمية تُذكر للمفاضلة بين الحياة والموت؛ فوجود الرغبة في الانتحار يُبيّن أن للمرء مُثلًا عليا لا يُمكن التضحية بها تحت أي ظرف، وأن المرء على استعداد دائم لطاعة الإله أو الطبيعة الكونية مهما كانت الظروف(٤٩).

(*) Spinoza فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن السابع عشر، وُلد عام١٦٣٢م، وتُوفي عام ١٦٧٧م.

(**) Heidegger فيلسوف ألماني وُلد عام ١٨٨٩م، وتُوفي عام ١٩٧٦م.

(***) Sartre فيلسوف فرنسي وُلد عام ١٩٠٥م، وتُوفي عام ١٩٨٠م.

(46) Donald M. Borchert: Encyclopedia of Philosophy, Vol.2,Thomson & Gale, New York, 2nd edition, 2006, pp. 652- 653.

(٤٧) د. حربي عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونانيين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥، صـ٣٧٨.

(48) Walter Englert: Op. Cit. p. 7.

(٤٩) أنتوني جوتليب: حلم العقل، تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة"، ترجمة:

ولم يعدُّ الانتحار عند الأقدمين من كبائر الإثم قط؛ إذ إن أبيقور مثلًا حَضَّ الناس على أن يوازنوا بدقة بين أن يأتيهم الموت وبين أن يذهبوا للموت بأنفسهم، ولقد انتحر كثير من أتباع أبيقور مثل " لوكريتيوس Lucretius شاعر الرواقيين المعروف وكاثيوس Cassius وكان داعية شديد الخطر ضد الطغاة ويدعو إلى قتلهم، وأتيكوس Atticus صديق شيشيرون الخطيب(٥٠).

ولكن فكرة الانتحار لم تبلغ مبلغها الأقصى إلا في عصر الإمبراطورية الرومانية وخاصة عند رواقي الرومان؛ حيث تجددت فكرتها وكملت صورتها الفلسفية، فمنذ عهد الرومان حُبِّذت فكرة التضحية بالذات على اعتبارها من الطقوس الدينية(٥١)؛ إذ جعلت الرواقية الرومانية الانتحار واجبًا أخلاقيًّا في بعض الأحيان، وذلك عندما يصبح الرواقي غير قادر على القيام بواجباته، ولم يعد قادرًا على أداء الدور المنوط به، فيكون من المناسب الانتحار(٥٢)، فهو طريقة طبيعية لإنهاء الحياة التي لا تطاق(٥٣).

ومن خلال مطالعة بعض الفقرات التي دونها الفيلسوف الرواقي سينيكا يتضح دفاعه عن فكرة الانتحار؛ إذ إن هناك علاقة قوية بين الانتحار والحرية عنده لما لها من دورٍ مهمٍ في تحقيق الهدوء والفضيلة والسعادة(٥٤)؛ فالانتحار عنده هو أفضل شيء رسمه القانون الأبدي على الإطلاق(٥٥)، باعتباره حاجزًا أخيرًا ضد المعاناة التي لا تطاق؛ فالقانون الأبدي لم يفعل شيئًا أفضل من أنه أعطانا مدخلًا واحدًا فقط

د. محمد طلبة نصار، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٥، ط١، صـ٣٤٥.

(٥٠) د. إسماعيل مظهر: فلسفة اللذة والألم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤، ط١، صـ١٢٧.

(٥١) المرجع نفسه: صـ١٢٨.

(52) Getty Lustila: Adam Smith and The stoic principle of suicide, An essay in European Journal of Philosophy, 2020, pp. 351-352.

(53) Gaye Unver: The Meaning of the Morality of suicide, Science of middle east technical University, 2003, p. 15.

(54) Walter Englert: Op. Cit. p. 2.

(55) David M. Clarke: Autonomy, rationality and the wish to die, An essay in Journal of medical Ethics, 1999, p. 460.

(ISSN: 2536 - 9555)

للحياة، ولكن هناك ألف وسيلة للهروب منها، وتساءل سينيكا هل ترضيك الحياة؟ ويجيب بأنه لابد أن نذهب من حيث أتينا، فإذا كان هناك شرور تلازمنا، فلابد أن نناشد الحرية التي يسعى إليها كل فرد يتألم، ومع ذلك أكد سينيكا أنه يجب أن يكون لدى الشخص سبب وجيه قبل الانتحار(٥٦).

إن الانتحار عند سينيكا هو رمز للحرية، وعندما يصبح الجسد غير قادر على ممارسة وظائفه فيجوز تحرير الروح(٥٧)، ويقول في ذلك:" علينا أن ندرك أننا نعاني لا لخطأ في محيطنا بل لخطأ فينا، ونحن أضعف من أن نتحمل أي شيء، فلا نتحمل كدًّا ولا سعادة ولا حتى أنفسنا، ولا أي شيء لفترة طويلة، وقد تدفع هذه الحالة بعض الناس إلى الموت؛ لأنهم حين يُغيِّرون غاياتهم باستمرار يرتدُّون إلى النظام نفسه، ولا يتركون مجالًا للتجديد"(٥٨).

ولكن سينيكا لم يقبل الانتحار بشكل مطلق، بل عادة ينصح بالانتحار في المواقف التي لم يعد فيها الفرد قادرًا على التصرف بشكلٍ فاضل بسبب الحرمان من الخير وفقًا للطبيعة، ويُحذِّر سينيكا أن مثل هذا القرار يجب ألا يتم اتخاذه تحت تأثير العواطف أو في التقصير في أداء واجبات واضحة تجاه الآخرين، ولكن عندما يهدد المرض قدرة الفرد للعيش وفقًا للطبيعة؛ لأن الانتحار هو مسار الحكمة، كما أن التهديد بالسجن أو الرق سواء من خلال الحرب أم من خلال طاغية، أم من خلال معاناته على يد نظام اجتماعي فاسد، أمر يُحتِّم الانتحار على الفرد، والبقاء في هذه الحالة هو الرذيلة بعينها؛ لذا لا يجب أن يتردد الفرد في الموت عندما يصبح ذلك حتميًّا وضروريًّا، وذلك من خلال عدم قدرته على العيش وفقًا للعقل والفضيلة، وكل

(56) Margret M. Evans: the encyclopedia of suicide, Factson File, New York, 2nd edition, 2003, introduction(XX).

(57) Anton F.L. ValHooff: Autothanasia to Suicide "Self-Killing in Classical Antiquity", Taylor & Francis, E-library, 2002, p. 190.

(٥٨) سينيكا: سكينة العقل، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية: إلينا فانثام، ضمن كتاب محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ط١، ف (٢-١٥)، صـ٢٥٣.

هذه المبادئ مشاعر مخزون فيها كل التفكير الهيللينستي والروماني(٥٩).

ويُشير سينيكا أيضًا في رسالته "عن وقت الفراغ" إلى أحقية الشخص الرواقي في الانتحار، وأن يعفي نفسه من الخدمة في أي وقت ممكن(٦٠)، ما دام الانتحار نجاة من كل معاناة، ويثني سينيكا في رسالته (24) Letter على انتحار كاتو Cato؛ إذ إنه أراد العيش وسط الأحرار، وانسحب إلى بر الأمان؛ إذ إن كاتو أصاب جسده بجرح مميت، وبعد أن ربط الأطباء الجرح كان لدى كاتو دم أقل وقوة أقل، ولكنه ليس أقل شجاعة، فلم يغضب من قيصر فحسب بل من نفسه أيضًا؛ فحشد يديه ضد جرحه وطرد تلك الروح النبيلة التي كانت تتحدى كل قوة دنيوية(٦١)، أي أن الانتحار عنده يأتي بعد التحدي والإصرار على مواجهة كل القوى الدنيوية.

وكذلك في وصف سينيكا لانتحار Diodorus– معاصره وصديقه وهو الأبيقوري الذي قَطع رقبته– كان رأيه واضحًا في وفاته؛ إذ وجدها سينيكا برهانًا على قدرته وجرأته على اختيار الموت؛ لأن Diodorus اختار الموت من باب الاعتزاز بالقدرة على الانفصال عن اللذة والثروة وكل المحايدات؛ إذ إن احتضان الموت تحررٌ بمعناه الجوهري مثل تحرر النفس عن الجسد، يقول سينيكا: "يقولون إن Diodorus

---

(59) Ambitiosa Mors: Suicide and Self in Roman thought and Literature, Edited by Dirk Obbink, Andrew Dyck, Routledge, London, 2004, p.151.

(٦٠) سينيكا: عن وقت الفراغ، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية: جاريث ويليام، ضمن كتاب محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٩، صـ٢٩٢، ف (١-٤)، صـ٢٩٢.

(61) Seneca: Letters, Volume (1), Translated by Richard Mott, Loeb classical library, 1917, Letter (24), p. 121.

وأيضًا: سينيكا: عزاء إلى ماركيا، ف (٢٠-٦) صـ٧٥.

وللانتحار Cato

-Gaye Unver: Op. Cit. p. 18.

See also: Mary Evelyn: The Death of Cato and the resulting Paradigmatic shift in Roman Suicide, An essay in Berkeley Undergraduate Journal of Classics, 2014, p. 6.

(ISSN: 2536 - 9555)

الفيلسوف الأبيقوري وضع حدًّا لحياته بيده منذ أيام قليلة مضت، وأنه لم يتصرف وفقًا لتعاليم أبيقور وقطع رقبته، والبعض يرغب هذا التصرف ليقال عنه مجنون، والبعض الآخر ليقال عنه متهور، ولكن Diodorus كان سعيدًا وضميره كان خيِّرًا، وأعطى شهادة لنفسه لمفارقة الحياة وأثنى على الحياة التي قضاها في الميناء والمرفأ"[٦٢].

وهناك معياران مختلفان للانتحار المناسب عند سينيكا، أحدهما للحكيم، والثاني لنا؛ إذ يمتلك الحكيم كل المعرفة في الأمور الفاضلة، فهو غير مبالٍ ولا يضايقه مرض أو فقر أو أي عوائق خارجية، وأما بالنسبة إلى الذين يمتلكون العوز والأمراض والتعب فهؤلاء يأخذون الانتحار من أجل التحرر من هذه المعاناة، ولكنه يتساءل عن سبب انتحار الحكيم، ويرجع ذلك إلى حرية إرادته للخروج من هذه الحياة، ولكنه لا يهرب منها بدافع الخوف أو الجبن، فلا توجد أي مشاعر سلبية تُلزِم إرادته لذلك[٦٣].

إن الانتحار عند سينيكا يلعب دورًا في ضمان حرية الرجل الحكيم، كما أن الحكيم فقط يمكنه مواجهة الموت بصلابة؛ لأنَّ روحه غير مضطربة، ويقارن سينيكا أولئك الذين يواجهون الموت بالهدوء الناتج عن حُكم معين مع مجموعتين أُخرتين، الأولى مع أولئك الذين يخشون الموت ويتسولون من أجل الحياة، والثانية مع أولئك الذين يطلبون الموت ويذهبون لمواجهته بدافع الجنون أو بنوبة غضب مفاجئة، ويجادل سينيكا ضد هاتين الطريقتين في مواجهة الموت، ويؤكد أن الهدف من ذلك مواجهة الموت قدر الإمكان– مثل الحكيم– بعقلانية وهدوء وسرور، وأن نكون مستعدين دائمًا للمغادرة[٦٤].

ويؤكد سينيكا أن العقل إذا قرر التخلص من الحياة نتيجة هذه الآلام والمعاناة،

---

[٦٢] سينيكا: عن الحياة السعيدة، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية: جيمس كير، ضمن كتاب محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ف(١٩–١) صـ٣٣٢.

(63) Getty Lustila: Op. Cit. p. 353.

(64) Walter Englert: Op. Cit. p. 13.

فلا يجب التراجع عن مثل هذا القرار؛ لأن الحكيم هو الذي لا يتراجع في قراره الخاص بالانسحاب من هذه الحياة، فهذا الأمر قد يكون مَخرجًا له، ولكن يجب على الفرد أن يتجنب الضعف الذي يستحوذ على الكثيرين من شهوة الموت(٦٥).

وقدَّم سينيكا كثيرًا من النصوص في مسرحياته تُبيِّن لنا دور الانتحار وأهميته في التحرر من الألم والمعاناة كمرحلة أخيرة؛ إذ يُصوِّر لنا فايدرا– في المسرحية الموسومة باسمها– بأنها تحاول منع الانتحار بشتى الطرق، بعدما بذلت كل شيء في وسعها للتقرب إلى هيبوليتوس(*)(٦٦).

فايـدرا: "هيبوليتوس، سوف تستجيبُ الآن لِتَوَسُّلاتي،
سوف تشفي جنوني؛ إن أعظم ما كنتُ أتوسلُ من أجله
هو إنقاذُ شرفي والموتُ بينَ يديكَ،
(ثم تخطف السيف من يد هيبوليتوس وتصوبه نحو صدرها)"(٦٧).

إن تحليل سينيكا لمفهوم الانتحار هو تحليل سلبي متشائم، وخاصة فيما يتعلق بطبيعة الإنسان الخُلقية؛ إذ رأى بوصفه معبرًا عن الثقافة السياسية الرومانية أن الوسط الاجتماعي يكاد يكون غير قابل للإصلاح؛ ولذلك يُشير دائمًا إلى الانتحار باعتباره شكلًا من أشكال العِتق والخلاص، ولكني أرى أن نظرته هذه نظرة تشاؤمية ونظرة إذعان واستسلام ورفض للواقع، تُعلِّم الإنسان الكسل والرضوخ، ويجب علينا أن نكوِّن لأنفسنا أفكارًا جديدة تحمل في طياتها الثقة لا اليأس، والكفاح لا الاستسلام، وهذه المسألة ليست ثانوية بل هي مسألة أساسية لمواجهة الواقع من أجل تغييره إلى الأفضل.

ولذا كان أولى بسينيكا باعتباره فيلسوفًا عمليًّا أن يعطي لنا خططًا وحلولًا لمواجهة هذا الوسط الفاسد دون الدعوة إلى الانتحار، فمهما كانت الآلام والمعاناة

(65) Seneca: Letters, Vol. (1), Letter (24), p. 126.

(*) ابن أنتيوبي زوجة ثيسيوس الأولى؛ إذ تزوج من فايدرا بعد موتها. انظر: سينيكا: مسرحية فايدرا، صـ٢١١.

(٦٦) سينيكا: مسرحية فايدرا، ف ٦١٠، ف ٦١٥، صـ٢٥٥، صـ٢٥٦.

(٦٧) المصدر نفسه: ف ٧١٠، صـ٢٦٢.

(ISSN: 2536 - 9555)

التي تنتج عن الواقع المتغير، لابد من مواجهتها بكل طرق الكفاح؛ فنحن بحاجة إلى فلسفة من نوع معين، فلسفة تُعلِّم الشعب معاني الكفاح والتضحية وتبعده عن الأفكار الانتحارية وتجعله يؤمن بإمكانيات الواقع، ويحيى آمال المستقبل في نفسه وتبث فيه الثقة في حتمية النصر والوصول إلى الأفضل.

ولا تبتعد رؤية إبيكتيتوس كثيرًا عن تصورات سينيكا؛ إذ أكد إبيكتيتوس أنه عندما يرى الفرد أن تجاربه المستقبلية المحتملة لا تستحق العيش بشكلٍ عامٍ، وإذا كان هناك دليل مُقنع على أن حياة المرء بالكامل منحدرة تمامًا؛ أي إذا كان مستقبل المرء لا يستحق امتلاكه، فقد يكون من المنطقي تمامًا اختيار عدم تجربته، ربما يكون هناك شيء اسمه خروج نبيل وغير ضار من حياة لم تعد تستحق أن تُعاش، وإذا استمر المرء في هذه الحياة فإن المرء هنا يهين نفسه [٦٨].

إذن أيَّد إبيكتيتوس الحق في الانتحار؛ لأنه أفضل من المعاناة، وأشار إلى أن الحياة ليست سجنًا وأن هناك مخرجًا للحفاظ على الهُوية، كما أن رفض الانتحار بالنسبة إليه هو تحويل حياة المرء إلى فخ، وهذا يُزيد الألم وسيأتي الانتحار كصمام أمان ومنقذ من الحريق، وأنه ليس واجبًا بل تصريحًا قد لا يتم استخدامه أبدًا، لكن من الجيد الحصول عليه، فيجب أن يُفكر المرء في الانتحار عندما لا تستحق الحياة أن تعاش[٦٩].

هكذا أوصى إبيكتيتوس بالانتحار في ظروف معينة لاسيما الهروب من الشر؛ إذ إننا كبشر لنا حدود معينة يُمكننا تحملها في هذه الحياة، ولكن عندما تصبح الأمور لا تطاق فإننا نرغب في إنهاء حياتنا[٧٠]، ويقول إبيكتيتوس في ذلك:" إذا كنت بائسًا جدًّا، فالموت هو ملاذك، والموت هو هذا المرفأ، وهو الملجأ من كل شيء، فلا شيء صعب في الحياة عندما ترغب فيه، تذَّكر أنك ستغادر ولا يزعجك أي دخان،

(68) William Ferraiolo: Stoic suicide "Death before Dishonor", An essay in international Journal of Philosophical Practice, Vol (4), No.(4), 2018, p. 32.
(69) Jason Xenakis: Epictetus "philosopher Therapist", Martinus Nijhoff, 1969, p.18.
(70) Margaret M. Evans: Op. Cit. p. 85.

لماذا إذن أنت قلق؟! لماذا تتأخر ساعات؟!"[٧١].

ويقول في موضع آخر: "تذَّكر دائمًا أن الباب مفتوح، لا تكن أكثر جُبنًا من الأطفال، بل افعل ما يفعله الأطفال عندما لا ترضيهم الأمور، قل" لن ألعب بعد الآن"؛ لذلك عندما يبدو لك أن الأشياء تصل إلى هذه النقطة، فقط قل" لن ألعب أكثر من ذلك"، ثم غادر بدلًا من البقاء للأنين"[٧٢].

ويرى إبيكتيتوس أيضًا أنه يجب على المرء أن يفكر في الحياة باعتبارها شيئًا أعارنا الله إياه للاستخدام المؤقت فقط، وهي تُشبه في هذا مأدبة يحتل فيها المرء مكانه المتواضع، وحينما يقبل الموت فعلينا أن نُسلِّم أنفسنا لقدرنا، وأن نقوم حتى النهاية بالدور الذي عهد الله إلينا بأفضل ما نستطيع، وعلينا أن نغادر مأدبة الحياة في هدوءٍ ولباقةٍ معربين عن شكرنا لله لدعوته لنا للمشاركة فيها والإعجاب بأعماله[٧٣].

ويذهب إبيكتيتوس أيضًا إلى أنه من الضروري علاج الروح، فهي أكثر أهمية من الجسد[٧٤]؛ ولذا فسَّر الاستعداد للموت على أنه حرية داخلية للإنسان؛ إذ لا أحد يستطيع أن يتحكم في أفكاره ومشاعره، فهو حر أيضًا تجاه نفسه[٧٥]؛ لأنه بكثرة اهتمامه بنفسه يستطيع أن يصل إلى درجة السيادة الكاملة عليها وعلى استعداداته الداخلية، ومنها يصل إلى درجة السيطرة على أفعاله، وماذا يحتاج الإنسان أكثر من ذلك حتى يُصبح شريفًا، ولذلك تصبح الحرية عند إبيكتيتوس حرية داخلية أو حرية جوانية تبتعد تمامًا عن كل ما هو خارجي، ولا تؤثر فيها الأشياء الخارجية، وهي حرية خاصة بكل إنسان على حدة، وتعد قانونًا خاصًا يحصل الإنسان من خلاله على ما يريد ويتجنب ما لا يريد، ويُسيطر أيضًا على نفسه[٧٦].

---

(71) Epictetus: The Discourses, B(4), Ch.(10), p. 322.
(72) Ibid: B(I), Ch.(24), p.65.
(٧٣) جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، صـ٨٣.
(74) Epictetus: Fragments, with an English translation by W.A. Oldfather, Harvard University press, London, 1959, proposition (32), p. 475.
(75) Jason Xenakis: Op. Cit. p. 16.
(٧٦) د. طارق عبد المحسن: الفلسفة العملية عند إبيكتيتوس الرواقي، صـ١٠٥، صـ١٠٦.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويُشبِّه إبيكتيتوس حتمية الرحيل إلى الحياة الأخرى بالقبطان الذي يدعو المسافرين معه إلى العودة إلى ظهر السفينة لاستئناف الرحلة؛ ليمثِّل لنا حتمية الرحيل عن هذه الحياة إلى الحياة الأخرى، مثلما يحدث حين ترسو سفينتك في رحلتها في أحد الأوانِ؛ وذهبت لكي تشرب فقد يطيب لك في الطريق أن تلتقط قوقعة من هنا أو كمأة من هناك، ولكن ينبغي أن يكون فكرك وانتباهك يقظًا ومرتقبًا لنداء القبطان للإبحار، ويتعين عليك وقتها أن تلقي بكل هذه الأشياء وإلا فسوف تربط ويلقى بك في السفينة كالشاة، وكذلك الأمر في الحياة، إذا وهبت بدلًا من القوقعة أو الكمأة زوجة أو ولدًا فلا بأس، ولكن إذا ما نادى القبطان فإن عليك أن تهرع إلى السفينة تاركًا إياهما غير مهتم بأي منهما(٧٧).

من خلال ما سبق يُمكن القول بأن إبيكتيتوس رأى أن الحياة المضطربة حياة غير مُقدسة، وقد يكون الموت أحيانًا موضعًا للترحيب؛ ولذلك سمح بالانتحار باعتباره ملجأ للجميع، فتحرير المرء نفسه من الألم والخوف أفضل بكثير من العيش باضطراب؛ فالانتحار عنده أمر عقلانيٌّ وأكثر جاذبية من الحياة المستمرة في ظروف غير مقبولة، وهنا يتفق إبيكتيتوس مع سينيكا، ومن قبله أبيقور وهجسياس(*)؛ إذ أكد أن كل واحد منا حُر في إنهاء حياته، فإذا واجه الإنسان ألمًا لا يُحتمل فيجب التوقف فورًا والبعد عن مسرح الحياة؛ فالانتحار عنده وسيلة للخروج من البؤس(٧٨).

ولا يبتعد ماركوس أوريليوس عن العقيدة الرواقية؛ إذ أعطى لنا عددًا من النصوص يتحدث فيها بشكل إيجابيٍّ عن الانتحار، ويرى فيها أن الحياة إذا كانت محاصرة بظروف صعبة، كالمنزل الممتلئ بالدخان يُمكن للمرء أن يخرج منه، فالمنزل ممتلئ بالدخان وأنا تركته، لماذا نعتقد أن هذه مشكلة؟! لكن ما دام لا يوجد أي شيء من هذا القبيل يخرجني، فأنا أبقى حرًا، ولن يمنعني أحد من فعل ما

(77) Epictetus: The manual, Proposition (7), PP.489-491.

(*) فيلسوف يوناني من المدرسة القورينائية في القرن الرابع ق.م، ولقب بفيلسوف الموت. انظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، صـ٦٩٦، مادة (هجسياس).

(78) Johan M. Cooper: Greek philosophers on Euthanasia and suicide, An essay in Klawer Academic publishers, 1989, p. 29. See also: Jason Xenakis: Op. Cit. p.19.

يتناسب مع طبيعتنا العقلانية والاجتماعية[٧٩].

ويعتقد ماركوس أوريليوس أنه إذا كان المرء يرى أن الحياة لا تستحق العيش، فلابُدّ أن يُسمح له بإنهائها، فإذا كان الفرد غير قادر على تَحمُّل الحياة باكتفائه الذاتي، فإن الملاذ الوحيد هو المغادرة[٨٠]، كما يجب أن تكون المغادرة في هدوء بدون أي إيماءات مسرحية[٨١].

يقول أوريليوس: "رُبما تغادر الحياة في أية لحظة، فلتضع هذا الاحتمال نصب عينيك في كل ما تفعل أو تقول أو تفكر به، غير أن مغادرة دنيا البشر ليست بالأمر المخيف إذا كانت الآلهة موجودة، ولن يضروك في شيء، أما إذا كانت الآلهة غير موجودة، أو كانت لا تلقي بالًا لبني البشر، فما قيمة الحياة في عالمٍ خالٍ من الآلهة"[٨٢].

ويقول في موضع آخر: "فالرجل الذي سلَّم القيادة لعقله وألوهيته، وقدَّس عُلوها وامتيازها لا يجعل من حياته مأساة، ولا يئن، ولا يلجأ إلى الوحدة ولا إلى الصحبة الزائدة، والأهم أنه سوف يعيش دون سعي إلى الموت والفرار منه، ولن يبالي على الإطلاق بمدة إقامة روحه في جسده أستطول أم تقصر، وحتى إذا تعيَّن عليه أن يرحل الآن، فسوف يرحل بسهولة كما لو كان يؤدي أي عمل آخر تقتضيه الأمانة واللياقة[٨٣].

إذن قَبَل أوريليوس العقيدة الرواقية القائلة بأن الانتحار مقبول في ظروف شديدة من المعاناة، وأنه يُمكن أن يكون مسموحًا به أخلاقيًّا على الأقل بالنسبة إلى

---

(79) Phillip Sroka: Stoicism and the Virtuous suicide, in the suicides, "Handbook" A(somewhat) personal History of Philosophy, University of Tampa, Ch.(4), 2019, p. 20.

(80) Ibid: Ch.(4), p. 22.

(81) Nils Retterstol: Suicide in a cultural History perspective, part(I), Western Culture, Attitudes to suicide up to the 19th century, An essay in Norwegian Journal Suicidology, 1998, No (2), p. 4.

(٨٢) ماركوس أوريليوس: التأملات، ف(٢-١١)، صـ٤٨.

(٨٣) ماركوس أوريليوس: التأملات، ف (٣-٧)، صـ٦٢.

(*) فيلسوف اسكتلندي وِلد عام ١٧١١م، وتوفي عام ١٧٧٦م.

(ISSN: 2536 - 9555)

الشخص الذي يحرز تقدمًا نحو الفضيلة.

ويتضح من ذلك أن الانتحار عند الرواقية الرومانية ملاذ أخير للحياة، ونوعٌ من البرهان المطلق على التحرر من كل آلام النفس وآلام المجتمع، ولكن دعوة الرواقية الرومانية إلى الانتحار هي دعوة تشاؤم وعجز، فالانتحار –فيما أعتقد– يُعد انتهاكًا لواجباتنا؛ إذ إننا نمتلك واجبات قوية تجاه أنفسنا، ويجب أن نتحكم فيها، وأن نُسيطر على مشاعر الأنانية ومشاعر العُنف التي تُشكِّل عقبات أمام السلوك الأخلاقي؛ لأن النفس الإنسانية بفطرتها تتطلب استقرارًا في العديد من المواقف النفسية والاقتصادية والاجتماعية، ولكن إذا حدث أي تغير مفاجئ أو غير متوقع في استقلالية المرء، تندفع النفس إلى الحفاظ على نفسها، وإذا فشلت فإنها تفكر في الانتحار؛ لذا فإن تنمية قدرات النفس ومهاراتها– وخاصة لدى الإنسان المعاصر– من خلال الحفاظ على الود والتعاون والعلاقات الإنسانية على مستوى الأسرة والمجتمع له دور كبير في تقليل عمليات الانتحار.

وقد كان لموقف الرواقية الرومانية من الانتحار صداه في العصر الحديث؛ ففي المقال الذي كتبه هيوم(*)عن الانتحار قدَّم نقدًا لحجة قدسية الحياة؛ إذ اعتبر الانتحار مباحًا أخلاقيًّا(٨٤)، كما أن هذا العمل خالٍ تمامًا من كل اتهام وذنب(٨٥)، فكلما أصبحت الحياة أكثر تألمًا سواء كان الألم جسديًّا أو عقليًا يصبح الانتحار مرغوبًا فيه(٨٦)، كما رحب جون ستيورات ميل(**) وغيره من المدافعين عن النفعية بالانتحار، معتبرين أنه تحرر من الألم والمخاوف الجسدية والأخلاقية، لاسيما إذا كان يجلب

(84) David Hume: Of Suicide, reproduced with the kind permission of the National Library of Scotland, without date, p. 24. see also: Leonardo Tondo: Brief History of Suicide in western cultures, in A concise Guide to Understanding Suicide, Edited by Stephan H. Koslow, Pedro Ruiz and Charles B. Nemeroff, published online, Cambridge University press, 2014, p. 12.

(85) Ibid: P. 26.

(86) Arezina Asomatou and others: The act of suicide in Greek mythology, An essay in Encephals Journal (53), 2016, p. 66.

(**) فيلسوف إنجليزي ولد عام ١٨٠٦م، وتوفي عام١٨٧٣م.

السعادة للآخرين[٨٧]، ورغم قبول بعض فلاسفة العصر الحديث لموقف الرواقية الرومانية من الانتحار إلا أن هناك بعض الفلاسفة ممن كان لهم موقف مضاد للانتحار، باعتباره جريمة إنسانية؛ إذ انتقد مونتسكيو[*] بشدة التصور الرسمي السائد للانتحار، وهكذا أيضًا انتقد كل من فولتير[**] وروسو[***] الانتحار[٨٨]، ورأى كانط[****] أن الانتحار إهانة للإنسانية[٨٩].

ثالثًا- مبررات الانتحار ودوافعه:

لقد تعددت مبررات الانتحار عند الرواقية الرومانية، وقد كان للمدرسة القورينائية والأبيقورية عظيم الأثر في هذه المبررات؛ إذ تعد دعوة هجسياس القورينائي إلى الانتحار واحدة من أهم الأفكار التي رددها الرواقيون وخاصة في العصر الروماني، وإن كانوا قد صاغوا هذه الفكرة في ضوء اعتبارات كثيرة ومختلفة إلى حدٍّ ما عن الأسباب والمبررات التي قادت هجسياس إلى تبني الدعوة إلى الانتحار[٩٠]؛ إذ دعا هجسياس إلى الانتحار للتخلص من الألم، فالعالم عنده لم يكن مكانًا مقبولًا ويجب على الإنسان أن يتخلص منه مهما كان الثمن؛ لأننا على الأقل من خلال الانتحار يمكن أن ننال السعادة الوحيدة الممكنة بعيدًا عن هذا العالم، وهي سعادة سلبية في التخلص المطلق من الألم[٩١].

---

(87) A Dictionary of Ethics: Translated from Russian, Edited by Group of Authors, Designed by Alexei Lisitsyn , Progress Publisher, Moscow, 1990, p.405.

(*) فيلسوف فرنسي وُلد عام ١٦٨٩م، وتُوفي عام ١٧٥٥م.

(**) فيلسوف فرنسي وُلد عام ١٦٩٤م، وتُوفي عام ١٧٧٨م.

(***) فيلسوف فرنسي وُلد عام ١٧١٢م، وتُوفي عام ١٧٧٨م.

(88) Nils Retterstol: Op. Cit. p. 9.

(****) فيلسوف ألماني وُلد عام ١٧٢٤م، وتُوفي عام ١٨٠٤م.

(89) Margaret M. Evans: Op. Cit. p. 183.

(٩٠) د. عبد العال عبد الرحمن عبد العال: دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٣، صـ٧٧.

(٩١) المرجع نفسه: صـ٧٠.

(ISSN: 2536 - 9555)

كما كان لدعوة أبيقور إلى الانتحار أثرها القوي في الفلسفة الرواقية الرومانية[٩٢]؛ إذ قرر أبيقور أنه في حالة عدم تحمل الآلام الشديدة سيفضى بنا الأمر إلى الانتحار؛ فمغادرة مسرح الحياة في هذا الوقت واجبة[٩٣]، وهكذا جعل هجسياس ومن بعده أبيقور التحرر من الألم هو أحد مبررات الانتحار باعتبار أن الموت أفضل بكثير من الحياة، وهذه الأفكار التشاؤمية انتقلت برمتها إلى الرواقية الرومانية، وكان لها عظيم الأثر في تشكيل مفهوم الانتحار ومبرراته لديهم.

والواقع أن هناك أكثر من منطق لفهم حقيقة الانتحار ومبرراته عند الرواقيين، وكلها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالرؤية الأخلاقية الرواقية للأشياء وتصورهم لحياة الحكيم، ومن هذه المنطلقات فكرتهم عن الأشياء المحايدة أو المتساوية؛ فقد ذهب الرواقيون في بداية الأمر إلى أن الفضيلة هي الخير بالمعنى المُقام وأن الرذيلة هي الشر وكل ما عدا ذلك من الأشياء فهو محايد؛ فالحياة والصحة والشرف والممتلكات وغير ذلك ليست خيرات، كما أن الموت والإهانة والفقر وغيرها ليست بدورها شرورًا[٩٤].

وانطلاقًا من حيادية جميع الأشياء عدا الفضيلة والرذيلة ذهب الرواقيون إلى أن الحياة ذاتها من جملة الأشياء المحايدة، والحُكم بالبقاء فيها أو الرحيل عنها يرجع إلى الحكيم ذاته الذي يملك الحُكم، ويكون الانتحار مبررًا إذا ما خسر الإنسان الحيادية المفضلة تجاه الأشياء التي سوف يعاني من خسارتها إذا ما بقي في الحياة، فالسجن والجوع والمرض والكرامة والخزي جميعها يجعله مُؤمنًا أن ثمن البقاء في الحياة ثمن باهظ، خاصة إذا خسر حياديته إزاء تلك الأشياء وهنا يكون الانتحار موتًا عقلانيًا[٩٥].

ويمكننا أيضًا فَهْم مبررات الانتحار عند الرواقيين من خلال فَهم تصورهم لحياة الحكيم واستقلاله؛ فقد ذهبوا إلى أن الحكيم يعرف الفرق بين الفضيلة والرذيلة والخير

---

[٩٢] المرجع نفسه: صـ٧١.

[93] Cicero: de Finibus Bonorum et malorum, Latin text with Facing English translation by Harris Rackham, The Loeb Classical library, Harvard University press, 2nd edition, 1931, B(I), 15, 49, pp. 53-55.

[٩٤] د. عبد العال عبد الرحمن عبد العال: دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان، صـ٧٨.

[٩٥] المرجع نفسه: صـ٧٩.

والشر، وكذلك بين الأشياء التي لا تستحق الاهتمام، ومعرفة قواه الجسدية والعقلية، فالرجل الحكيم قادر على تحمُّل أي قدر من التعذيب والمرض والفقر والألم بعقل راسخ وطمأنينة ولا يخاف الموت، فهو يشعر بألم جسدي ولكن عقله لا ينهار، والرجل الحكيم ينتحر في هذه الظروف عندما يبدو له أن هذا الفعل مناسب في وقت ما، وهو على يقين أن الآلام التي يمر بها تجعل العمل الفاضل مستحيلًا[٩٦].

والحكيم أيضًا دائمًا حُرٌّ؛ لأنه لا يُجبر أبدًا على فعل أي شيء ضد إرادته؛ ولذلك يلعب الانتحار دورًا في حرية الحكيم؛ لأنه يسمح له بالخروج متى وجب ذلك، فالحكيم الرواقي لا يرى الموت شرًا؛ لأنه حر تمامًا ومتحكم في مصيره[٩٧]؛ لذا كانت فكرة الاستقلال والتجرد من جميع الأشياء حتى الحياة نفسها من أهم مبررات الانتحار عند الرواقيين، فمن أجل تأمين الاستقلال للإنسان في كل ظرف، سمحوا بالتخلص الإرادي من الحياة كملجأ في حالة الضيق القصوى[٩٨].

ويعدد سينيكا في مسرحية فايدرا الأسباب التي تتوافر للحظة التي يُقدِم فيها الفرد على الانتحار، ويلاحظ أن انتحار فايدرا في المسرحية لم يأتِ فجأة، ولكن انتحارها يتشكل في تصعيد سلسلة الانتحار؛ إذ تشير فايدرا إلى الانتحار في أثناء حديثها مع مربيتها، ومرة أخرى عندما ناشدت هيبوليتوس أن يجتمع بها، وعند عودة ثيسيوس من العالم السفلي؛ فكل هذه المشاهد الثلاث، تُثير مشكلات جدية لتقييم دوافع فايدرا في الانتحار[٩٩].

إذن جاء انتحار فايدرا في المسرحية في تصعيد مستمر حتى انتحارها الفعلي في المشهد الختامي؛ وذلك لعدة أسباب أهمها: هموم فايدرا وأحزانها المستمرة، فهي لا تذوق طعم الراحة ليلًا ولا نهارًا، فهي تعيش في شقاءٍ وعذابٍ مستمرٍ بسبب كُرهها لزوجها ثيسيوس، وهذا أدى بها إلى الغضب والانعزال عن الناس.

تقول فايدرا: "لا أذوقُ طعم الراحةِ بالليلِ ولا نَومًا عَمِيقًا
يخلِّصني من الهُمومِ؛ عذابي ينمو ويـزداد

---

(96) Walter Englert: Op. Cit. p. 14.

(97) Loc. Cit.

(٩٨) د. عبد العال عبد الرحمن عبد العال: دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان، صـ٨٠.

(99) Ambitiosa Mors: Op. Cit. p. 160.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويحترق في أعماقي كما تحترقُ الحمم
في أُتون بركان أيتنا Aetna"(١٠٠).
وتقول في موضع آخر: "لم أعد أستمتع بتقديم الصَّلَوات والدعوات في المَعابدِ،
أو أشارك بين المحاربين في رقصات النسوة الأتيكيات
وهن يلقين بالمشاعل الخاصة على المشاركين الصامتين
ولا أتقربُ بدعواتٍ مخلصةٍ أو عهدٍ صادقٍ
للربة حامية الأرض المنسوبة إليها"(١٠١).

هكذا جعل سينيكا الآم النفس والغضب والانعزال عن الناس من أهم مبررات الانتحار، وبعد ظهور المربية وتقديم نصيحتها لفايدرا بعدم وقوعها بغرام ابن زوجها "هيبوليتوس"، نجد أن فايدرا لم تصغِ آذانها لنصيحة مربيتها، ووقعت في غرام ابن زوجها، وهنا يصور لنا سينيكا فايدرا بالشخص غير القادر على السيطرة على شهواته ورغباته وعدم تحكم العقل بها(١٠٢)، وهذه أيضًا من الأسباب التي ستجعل فايدرا تنتحر في المشهد الختامي؛ إذ يحدث تحول مفاجئ في مشاعر فايدرا؛ إذ قررت أن تتخلص من هذا الحب الآثم بالانتحار، وهذا هو المقصود بأنها سوف تلحق بزوجها ثيسيوس الموجود في عالم الموتى(١٠٣).

تقول فايدرا: "الموتُ هو قراري، إنني أبحث الآن عن وسيلة للموت،
هل أقضي على حياتي شنقًا؟! أو ارتماء على سيف؟!
أو قفزًا من فوق قمة قلعة بالاس؟!
"ليس هناك سببٌ يمنعُ أحدًا من الموتِ،
عندما يكون قد قرر أن يموتَ ومن الواجبِ أن يموتَ؛
لذلك سوف أُسلِّح يدي كي أصون عِفَّتي"(١٠٤).

ومن خلال ما سبق يُصوِّر لنا سينيكا أن فعل الخطيئة قد يكون دافعًا للانتحار؛

---

(١٠٠) سينيكا: مسرحية فايدرا، ف ١٠٠، صـ٢٢١.

(١٠١) المصدر نفسه: ف ١٠٥، صـ٢٢١، صـ٢٢٢.

(١٠٢) المصدر نفسه: ف ١٧٥،ف ١٨٠،ف ١٨٥، صـ٢٢٧، صـ٢٢٨.

(١٠٣)سينيكا: مسرحية فايدرا، ف ٢٥٠، صـ٢٣٣.

(١٠٤) المصدر نفسه: ف ٢٥٥،ف ٢٦٠، ف ٢٦٥، صـ٢٣٣.

إذ إنَّ انتحار فايدرا جاء لكي تحافظ على ما تبقى من سمعتها بالعفة، وهربًا من العواقب المحتملة التي ستواجهها، فجاء انتحارها من أجل الهروب من الشر؛ لأنها رأت أن الموت هو النجاة والحل الوحيد من دنس هذا الوجود.

ويُصوِّر سينيكا أيضًا من مسرحيته "هرقل فوق جبل أديتا" أن الانتحار يحدث نتيجة الحزن الشديد وكثرة المعاناة، وهذه أمور تسلب من الإنسان الإدراك والوعي(١٠٥)؛ فالحياة لا تستحق العيش إذا كانت أحزان المرء بلا حدود، وإذا انغمس في مخاوفه على أقصى حَدٍّ ممكن، فلابُدَّ من الخروج من هذه الحياة(١٠٦)، كما يجب على المرء أن يهرب من شيخوخته طالما شعر بضعف العقل، فعندما يشعر المرء بالمرض والآلام نتيجة طول العمر فيجب أن يترك الحياة؛ فالحياة المؤلمة لا تستحق العيش(١٠٧)، وهكذا نظر سينيكا إلى الانتحار باعتباره وسيلة للهرب وإنهاء المعاناة، وهذه نظرة تشاؤمية نجدها في ثنايا مؤلفات سينيكا.

ويعدد إبيكتيتوس أيضًا أسباب الانتحار في مؤلفاته؛ إذ يجعل عدم رضا الفرد على حياته من أهم الدوافع الانتحارية، فمغادرة الحياة أفضل بكثير من العيش فيها بعدم رضا(١٠٨)، كما يعتقد أن الحياة ليست مُقدسة، فعندما يشعر المرء بالألم والمعاناة والخوف، وجب عليه تحرير نفسه من هذه المعاناة عن طريق الانتحار فهو ملجأ للجميع(١٠٩).

ويذهب ماركوس أوريليوس إلى أن اللحظة المناسبة للقدوم على الانتحار هي تلك اللحظة التي تتلاشى فيها الملكات الذهنية وقوة التفكير العقلية، وهذه اللحظة ترتبط أيضًا بالشيخوخة وظروفها، ويقول في ذلك:" ينبغي أن نضع في حسباننا أن الحياة تنقضي يومًا بعد يوم وأن رصيدنا الباقي يتناقص، وأننا إذا امتد بنا الأجل فلا ضامن أن تظل عقولنا محتفظة بالقدرة على فهم العالم وتأمله، تلك القدرة التي تُشكِّل خبرتنا بالأمور الإلهية والإنسانية، فإذا أدركنا العته (التخريف) فلن يتوقف فينا التنفس ولا الغذاء ولا الخيال ولا الرغبة، بل قبل أن تذهب هذه سيذهب استخدام المرء لنفسه

---

(١٠٥) سينيكا: هرقل فوق جبل أويتا، ف١٤٠٠، صـ١٨٦

(106) Seneca: Letters, Vol (1), Letter (13), P. 69.

(107) Nils Retterstol: Op. Cit. pp. 3-4.

(108) Epictetus: The Discourse, B(I), Ch.(24), p. 65.

(109) Jason Xenakis: Op. Cit. p. 16.

(ISSN: 2536 - 9555)

استخدامًا صحيحًا، ويفقد تقديره الدقيق لما يتوجب فعله وكذلك قدرته على تحليل الانطباعات، وعلى معرفة هل عليه أن يرحل مختارًا عن الحياة أم لا؟ ويفقد كذلك كل الأمور الأخرى التي تتطلب قوة تفكير، فَنُعَجِّل إذن؛ لأن الموت يدنو حثيثًا ولأن قدرتنا الفكرية أيضًا على معرفة الطبيعة الحقة للأشياء وتسيير أفعالنا وفقًا لهذه المعرفة سيعزوها الزوال قبلنا"[١١٠].

وعلى ذلك تكون اللحظة المناسبة للانتحار– عند أوريليوس– عندما يفتقد الإنسان الملكات العقلية التي كانت ستبقيه في الحياة، فعندما لا تتواكب ملابسات الحياة مع ما خطط له[١١١]، فالنتيجة ستكون الانتحار؛ إذ يقول:" تمادي في إيزاء ذاتك أيتها النفس، إن هي إلا لحظة ولن يعود لديكِ مُتسع لاعتبار ذاتك؛ الحياة لحظة ولحظتك الخاصة توشك على النهاية"[١١٢].

تلك هي مبررات الانتحار عند الرواقيين التي ترتبط بالمفهوم الرواقي للأشياء المحايدة بما فيها الحياة، وأيضًا استقلال الحكيم؛ حيث يكون الانتحار قمة الحرية؛ لأن الانتحار يكون مرغوبًا فيه عندما تكون اللحظة مناسبة، وجملة هذه المبررات تحمل معنى يقترب من مفهوم الانتحار عند هجسياس الذي جعله في النهاية تحررًا من الحياة والألم والشيخوخة[١١٣].

وبناءً على ذلك كانت دعوة الرواقية الرومانية إلى الانتحار باعتباره تحريرًا من الآلام والمعاناة، وأختلف معهم في موقفهم من الانتحار؛ إذ إنه موقفٌ سلبيٌّ تجاه النفس وتجاه الواقع، وبدلًا من أن تُناقش الرواقية الرومانية كيفية مواجهة المرء لآلامه ومعاناته أقرت بالانتحار كنوع من التحرر دون أدنى مواجهة للواقع؛ ولذلك يمكنني القول بأنها فلسفة عجز واستسلام؛ وأتساءل: كيف يمكن تجنب الموقف المأساوي الذي قد يكون فيه المرء عرضة للانتحار؟ فهذه مشكلة يجب أن يفكر فيها أفراد

---

[١١٠] ماركوس أوريليوس: التأملات، ف(٣–١)، صـ٥٤، صـ٥٥.

[١١١] د. عبد العال عبد الرحمن عبد العال: دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان، صـ٨٣.

[١١٢] ماركوس أوريليوس: التأملات، ف(٢–٦)، صـ٤٦.

[١١٣] د. عبد العال عبد الرحمن عبد العال: دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان، صـ٨٣.

الأسرة والمجتمع؛ إذ إن شخصية الإنسان لها العديد من الأدوار التي تؤديها في مواقف مختلفة، وإذا كانت النتيجة سيئة أو جيدة، مواتية أو ضارة فهي تعتمد على الإنسان في كيفية التعامل والتفاعل معها؛ وذلك من أجل الحفاظ على كل من الصحة العقلية والجسدية والنفسية للإنسان.

وأعتقد أن من أهم العوامل التي تمنع الانتحار هي قدرة المرء على العيش في وئام مع الآخرين مع أفراد الأسرة والمجتمع والأصدقاء؛ وذلك من أجل تحقيق توازن شخصية الفرد، كما يجب أن يدرك الفرد أن هناك العديد من الأدوار التي يمكن أن تؤديها نفسية الفرد للوصول إلى أبواب النجاح والسعادة، والبعد عن الأفكار الانتحارية.

إنَّ أفضل طريقة لتقليل الانتحار هو تطبيق النهج الإنساني عن طريق المعرفة والفهم الصحيح للمواقف العملية، وكذلك الفهم الحقيقي للعلاقات الاجتماعية، كما أن التكيف والرضا مع الأسرة والبيئة والمجتمع لهما دور فعال في تقليل الانتحار.

رابعاً- الانتحار والعيش وفقاً للطبيعة:

إنَّ مفهوم الانتحار عند الرواقية الرومانية يخدم في الأساس نشأة الفضائل الأخلاقية كعملية تفكير في الذات وعلاقاتها بمبادئ الطبيعة[١١٤]؛ إذ جعلت الرواقية هدف جميع البشر هو العيش وفقًا للطبيعة؛ فالخير الوحيد هو الفضيلة والشر الوحيد هو الرذيلة، وقد ميَّزوا بين فئتين من الأشياء؛ **الأولى:** الأشياء الفاضلة وتشمل الحياة، والصحة، والمتعة، والجمال، والقوة، والثروة والسمعة، ويقال إنها متوافقة مع الطبيعة، **والثانية:** الأشياء غير الفاضلة وتشمل، الموت، والمرض، والألم والضعف، والفقر، ويقال إنها أشياء غير متوافقة مع الفضيلة[١١٥].

وعندما تتضمن ظروف الإنسان عند الرواقيين رجحانًا في الأشياء وفقًا للطبيعة، فمن المناسب أن يبقى الإنسان على قيد الحياة، وعندما يرى في المستقبل عدم توافقها مع الطبيعة فمن المناسب له أن يبتعد عن الحياة، وهذا يوضح أنه من المناسب أحيانًا أن يترك الحكيم الحياة على الرغم من سعادته؛ فالسعادة عنده تعني الحياة وفقًا للطبيعة، وهي مسألة اغتنام اللحظة المناسبة حتى أن الحِكمة نفسها في بعض الأحيان تطلب من الحكيم أن يتركها؛ لأنَّ الرذيلة وحدها ليست السبب الوحيد

(114) Ambitiosa Mors: Op. Cit. p. 41.
(115) Walter Englert: Op. Cit. pp. 2-3.

(ISSN: 2536 - 9555)

المؤدى للانتحار، ولا تمتلك القدرة على تقديم سبب الانتحار، فمن الواضح أيضًا أن الأغبياء الذين هم أيضًا بائسون يُفضَّل أن يظلوا على قيد الحياة إذا كان لديهم هيمنة على تلك الأشياء المتوافقة مع الطبيعة(١١٦).

إنَّ الحكيم عند سينيكا يتكون من الجسد الذي يمكن أن يُلدغ أو يُحرق أو يشعر بالألم، والعقل الذي يحمل آراء لا يمكن أن تتزعزع ولا يعرف الخوف ولا القهر، ويقارن سينيكا بين الحكماء والأشخاص الذين يحرزون تقدمًا نحو الفضيلة، ويقول إنَّ الفرق بينهما هو أنه في حين أن الرجل الحكيم لن يتعثر أبدًا، فإن أولئك الذين يتقدمون نحو الفضيلة سوف يفسحون الطريق أحيانًا، ويتركون شيئا ما يتراخى عن العقل؛ أي في حين أن عقل الحكيم لن يفسح المجال أبدًا ويتمسك دائمًا بآرائه الحقيقية حول طبيعة الألم الذي يهاجمه، فإن عقول أولئك الذين يتقدمون نحو الفضيلة لن تكون قادرة على ذلك، وقد تصمد عقولهم لفترات أقصر أو أطول اعتمادًا على مدى تقدمهم نحو الفضيلة، ولكن في النهاية ستتراجع عقولهم، وسينظرون إلى الأشياء الأخرى السيئة على أنها شرٌّ، وينظرون إلى أنفسهم على أنها تضررت، وهنا يوضح سينيكا أن الانتحار يريح أولئك الذين يحرزون تقدمًا نحو الفضيلة، والذي لولاه سيقلقون بشأن التراجع تحت الألم الشديد(١١٧).

وقد شدد سينيكا على الجانب العملي من الفلسفة (الأخلاق)؛ فاهتم بممارسة الفضيلة أكثر من البحث النظري في طبيعتها، ولم يبحَث عن المعرفة العقلية لذاتها، ولكنه سعى إلى الفلسفة بوصفها وسيلة لاكتساب الفضيلة(١١٨)، ومن أهم الفضائل عنده الانتحار؛ حيث جعل الانتحار حامي الفضائل؛ لأنَّ المرء بسببه يبتعد عن الألم والتعذيب وغيره، كما أنه أعظم مصدر للسعادة وللخير وخاصة في ظل الظروف القاسية ممارسة الانتحار؛ للحفاظ على الفضيلة قبل أن يُفسح الطريق وتبدأ رؤية الآلام(١١٩).

ويعتبر سينيكا التخلص من الجسد وآلامه هو الفضيلة الحقة؛ فالجسد لا يُمكن أن يقف عائقًا في سبيل التخلص من حياتنا برغم احترامنا له والاهتمام به، إلا أنه لا

(116) Cicero: de Finibus, B3, (60), p. 281.
(117) Walter Englert: Op. Cit. p. 18.
(١١٨) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الأول "اليونان وروما"، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، ط١، صـ٥٦٧، صـ ٥٦٨.
(119) Walter Englert: Op. Cit. pp. 18-19.

يجب أن نخاف من الموت بسببه؛ فالفضيلة الحقة هي الانتحار وخاصة عندما يتطلب العقل ذلك، ويقول في ذلك: "أعترفُ بأننا جميعًا لدينا عاطفة فطرية تجاه أجسادنا، وأعترف أننا مؤتمنون على رعايته، وأنا لا أصر على أن الجسد لا ينبغي أن يشبع رغباته على الإطلاق، ولكني أصر على أننا لا يجب أن نكون عبيدًا له،....، وحبنا الكبير له يجعلنا قلقين من المخاوف، ويثقل كاهلنا بالاهتمام ويعرضنا للإهانات؛ فتعتبر الفضيلة رخيصة جدًّا للرجل الذي يعتبر جسده عزيزًا عليه، فيجب أن نعتز بالجسد بأكبر قدر من العناية، ولكن يجب علينا أيضًا أن نكون مستعدين للتخلص من حياتنا عندما يتطلب العقل واحترام الذات ذلك، ولو وصل الأمر إلى تسليم الجسد للنيران"(١٢٠).

وتعدُّ فكرة العيش وفقًا للطبيعة من أهم الأفكار التي أكدتها فلسفة إبيكتيتوس؛ فمن وجهة نظره لكي يعيش الإنسان في حالة وفاق مع الطبيعة، يجب أن يبتعد عن التأثر بما يحدث حوله، ومهما حدث حوله من مواقف غير مواتية يجب أن يُحافظ على اتزانه النفسي؛ لأنَّ حالة الاتزان النفسي هي الحالة التي يطمح إبيكتيتوس إلى أن يصل إليها الإنسان(١٢١)؛ إذ يقول:" إنَّ أكثر الأشياء أهمية هو قانون الحياة الآتي: أنه يجب علينا أن نفعل ما تتطلبه الطبيعة، فمن الواضح أنه في كلِّ شيء ينبغي علينا أن نجعل هدفنا ألا نتجنب متطلبات الطبيعة، ولا أن نقبل ما يكون في تعارض مع الطبيعة"(١٢٢).

ونجد أن سلوك إبيكتيتوس أكثر اتساقًا بالنسبة إلى الإنسان الرواقي؛ إذ كان يدعو أحيانًا إلى الاتزان النفسي للمرء، كما أن سائر أشكال المعاناة التي يسببها الجسد لا تُمثِّل مبررًا للانتحار عنده، وإن وجدت بعض الظروف التي تغري به، فلا يمكن – في رأيه– أن يُقدِمَ الإنسان على مثل هذه الخطوة الخطيرة إلا بأمر من الإله، ولكن يبدو أن إبيكتيتوس كان ينسى هذا الحديث أحيانًا، فيرى أن الموت هو السبيل للخلاص من المشكلات القديمة المتراكمة، وقد شبه ذات مرة الانتحار بأنه خروج من غرفة مختنقة بالدخان(١٢٣).

---

(120) Seneca: Letters, Vol (1), Letter (14), p. 72.
(121) Epictetus: The manual, proposition (4), p. 487.
(122) Epictetus: The Discourses, B(I), Ch.(26), p. 70.
(١٢٣) أنتوني جوتليب: حلم العقل "تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة"، صـ٣٤٤.

(ISSN: 2536 - 9555)

وهكذا كان إبيكتيتوس يحثُ على ضبط النفس، ولكنه يعود في نصوص أخرى ويؤكد أن الانتحار ومسموح ومرحب به إذا استمرت الحياة في آلامها ومعاناتها، فتحرير المرء لنفسه من الألم والخوف أفضل بكثير من العيش بهما(١٢٤)؛ فالانتحار أمرٌ مقبولٌ عنده والمثل الأعلى للحياة هو الوفاق مع الطبيعة، فإذا لم يستطع المرء البقاء على قيد الحياة في وفاق مع الطبيعة، فسيختار حتمًا الموت كخيار عقلاني، وهذا الفعل يتناسب مع الطبيعة العقلانية(١٢٥).

ولا يختلف ماركوس أوريليوس كثيرًا مع ما ذهب إليه إبيكتيتوس وسينيكا؛ إذ أكد أن الفضيلة هي العيش وفقًا للطبيعة، ورأى أن الموت ليس فيه شيءٌ مناقضٌ للطبيعة، بل هو متوافق معها(١٢٦)؛ فالموت عنده ضرورة من ضروريات الحياة التي يقتضيها النظام الطبيعي(١٢٧)؛ ولذلك رأى أنه في حالة عدم استطاعة المرء العيش وفقًا للطبيعة فلابُدَّ من مغادرة الحياة في أي لحظة؛ فتلك هي الفضيلة الحقة، ولذلك جعل الانتحار ملاذًا أخيرًا للحياة(١٢٨).

هكذا كان المبدأ الرواقي "العيش وفقًا للطبيعة"، من أهم المبادئ التي أكدتها الرواقية الرومانية في فلسفتها من أجل أن يعرفَ الإنسانُ دوره في نظام الطبيعة، والنقطة التي لم يعد فيها قادرًا على أداء دوره؛ ولذلك رأت الرواقية الرومانية أنه في حالة عدم قدرة المرء على العيش وفقًا للطبيعة، يجب أن يكون الانتحارُ جديرًا بالثناء؛ فهو الفضيلة الحقة– من وجهة نظرهم– كونه نوعًا من التحرر من آلام الحياة ومعاناتها، فإذا كانت الحياة ممتلئة بالمعاناة والبؤس فإن العلاجَ في متناول اليد والخروجُ منها فضيلةٌ تامةٌ.

وأعتقد أن الرواقية الرومانية قد جانبها الصواب في اعتبار الانتحار فضيلة تامة، بل وأحيانًا واجبًا أخلاقيًّا؛ إذ إنَّ الانتحارَ نوع من سلب المرء لذاته، فمن الطبيعي أن يمر المرء بأزمات في هذه الحياة، وهذا جزء من قيمتها، فالانتحار يتحدى بوضوح قيمة الحياة.

---

(124) Epictetus: The Discourses, B(I), Ch (24), p. 65.
(125) Gaye Unver: Op. Cit. p.15.
(١٢٦) ماركوس أوريليوس: التأملات، ف(٢–١٧)، صـ٥٣.
(١٢٧) د. حربي عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان "العصر الهيللينستي"، صـ٤٨.
(١٢٨) ماركوس أوريليوس: التأملات، ف(٣–١)، صـ٥٤، صـ٥٥.

الخاتمـــة

وبعد عرضنا لمفهوم الانتحار عند الرواقية الرومانية يُمكن إجمال أهم نتائج هذا البحث، وذلك على النحو الآتي:

١- وضحَّت الدراسة أنَّ الموت عند الرواقية الرومانية أحد ضروريات الحياة التي يقتضيها النظام الطبيعي، فهو أمرٌ فطريٌّ طبيعيٌّ، ونوعٌ من الراحة، والحرية، والعتق، والخلاص، من كل أوهام الطبيعة؛ لذا كانت دعوتهم إلى قبول الموت وعدم الخوف منه، فهو من الأمور التي لا يُمكن السيطرة عليها من قِبل الإنسان، وقد كان لمفهوم الرواقية عن الموت دورٌ مهمٌّ في تقبلهم لفكرة الانتحار.

٢- ناقشت الرواقية الرومانية مفهوم الانتحار في سياق الواجبات الأخلاقية، باعتباره ملاذًا أخيرًا للحياة وبرهانًا مطلقًا على التحرر من كل آلام النفس وآلام المجتمع، فنحن كبشر هناك حدود معينة يُمكن تحملها في هذه الحياة، ولكن عندما تصبح الأمور لا تطاق، يُصبح الانتحار هنا واجبًا أخلاقيًّا، فتحرير المرء لنفسه من الألم والخوف أفضل عندهم بكثير من العيش باضطراب. ولكن قبول الرواقية الرومانية للانتحار لم يكن بشكل مطلق، وإنما كان الانتحار عندهم في مواقف معينة، تلك التي لم يعد فيها الفرد قادرًا على أداء دوره المنوط به، فهو يستند إلى أسس عقلانية، وليس على أفكار بسيطة غير منطقية، فهو قرار مُحدد بعد تفكير واقتناع؛ لذا جعلته الرواقية الرومانية الحل الأخير لحفظ كرامة الحكيم الرواقي ومبادئه، ومن أجل ترسيخ مكانة المرء باعتباره الشاهد الأخلاقي في المجتمع.

٣- تأثرت الرواقية الرومانية في مفهومها عن الموت وقبولها للانتحار، بعدد من الفلاسفة السابقين عليهم أهمهم: سقراط، وهجسياس، وأبيقور؛ إذ رأى سقراط في محاورة فيدون أن الفيلسوف الحق لا يهاب الموت، وإنما هو دائب السعي وراء الموت، وكذلك أخذت الرواقية الرومانية فكرتها عن الانتحار من هجسياس؛ إذ رأى أن الانتحار وسيلة ليحقق الإنسان حريته إذا أراد، كما تأثرت الرواقية الرومانية أيضًا بالأبيقورية؛ إذ جعل أبيقور الموت أمرًا فطريًّا موافقا للطبيعة، والإقبال عليه نوعًا من الحرية والخلاص؛ لذا دعا إلى الانتحار باعتباره نوعًا من التحرر من الألم.

(ISSN: 2536 - 9555)

٤- تعددت مبررات الانتحار ودوافعه عند الرواقية الرومانية، ومن أهم هذه المبررات: آلام النفس، والغضب، وكثرة المعاناة، وعدم الرضا، والخوف، والخيانة، والخطيئة، وعدم السيطرة على الشهوات، وعدم إحكام العقل،....إلخ، وكان لهذا التعدد ارتباطٌ وثيقٌ بالرؤية الأخلاقية الرواقية للأشياء وتصورهم لحياة الحكيم؛ فالنتيجة الحتمية عند الرواقية الرومانية من تأمل مسألة الموت وقبولهم الانتحار هي حكمة أخلاقية مفادها- كما يقول ماركوس أوريليوس- أن تكون خيرًا ما دام الموت يترصدك.

٥- ربطت الرواقية الرومانية بين مفهوم الانتحار ومبدأهم" العيش وفقًا للطبيعة"؛ فعندما تكون ظروف الإنسان متوافقة مع الطبيعة فمن المناسب البقاء على قيد الحياة، وإن كانت هذه الظروف غير متوافقة مع الطبيعة فمن الأفضل مغادرة الحياة بحرية تامة، فالسعادة الحقيقية عندهم تكمن في الانتحار حين تكون الظروف قاسية؛ ولذا جعلت الرواقية الرومانية الانتحار نوعًا من الفضيلة؛ لأنه يحافظ على المرء من كل الشرور والآثام.

٦- يُمكن أن يتبيَّن لنا بعد مناقشة مفهوم الانتحار عند الرواقية الرومانية أن موقفهم تجاه الحياة موقف سلبي، ودعوة إلى اللامبالاة في التعامل مع الأشياء والأمور الخارجية المحيطة بالإنسان، كما أنها دعوة للتشاؤم واليأس في كثير من الأمور الحياتية. إن الرواقية الرومانية لم تدعم مقاومة الفرد لتقلبات العالم الخارجي؛ ولذا جاءت فلسفتها سلبية تدعو إلى العجز والاستسلام، ولكننا في وقتنا المعاصر بحاجة إلى فلسفة تُعلِّمنا المواجهة والكفاح والتضحية، وتغرس في نفوسنا معنى التفاؤل لا التشاؤم. إن الانتحار -في اعتقادي- هو نوع من السلب، وانتهاك لأنفسنا ولواجباتنا، هو تحدي لقيمة الحياة، فمن الطبيعي أن يمرَّ الإنسان بأزمات في هذه الحياة، وهذا جزء من قيمتها؛ لذا فإحكام العقل والسيطرة على انفعالاتنا تجاه أنفسنا وتجاه المجتمع، والمواجهة المستمرة للواقع وآلامه من الأمور التي تقلل عمليات الانتحار في واقعنا المعيش.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- المصادر:

(أ) المصادر المترجمة إلى العربية:

(١) **أفلاطون:** محاورة فيدون، ضمن كتاب محاورات أفلاطون، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، تصدير: د. مصطفى النشار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م.

(٢) **سينيكا:** سكينة العقل، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية: إلينا فانثام، ضمن كتاب محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ط١.

(٣) ـــــــ: عزاء إلى بوليبوس، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية: هاري هينه، ضمن كتاب محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ط١.

(٤) ـــــــ: عزاء إلى ماركيا، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية: هاري هينه، ضمن كتاب محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ط١.

(٥) ـــــــ: عن الحياة السعيدة، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية: جيمس كير، ضمن كتاب محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ط١.

(٦) ـــــــ: عن وقت الفراغ، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية: جاريث ويليام، ضمن كتاب محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ط١.

(٧) ـــــــ: مسرحيات" ميديا، فايدرا، أجاممنون"، ترجمة: د. عبد المعطي شعراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٨) ـــــــ: هرقل فوق جبل أويتا، ترجمة وتقديم: د. أحمد عتمان، مراجعة: د. عبد اللطيف أحمد علي، سلسلة من المسرح العالمي تصدر عن وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨١م.

(٩) **لوكريتيوس:** في طبيعة الأشياء، ترجمة: د. علي عبد التواب، د. صلاح رمضان السيد، د. سيد أحمد صادق، مراجعة وتقديم: د. عبد المعطي أحمد شعراوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٨، ط١.

(١٠) **ماركوس أوريليوس:** التأملات، ترجمة: د. عادل مصطفى، مراجعة وتقديم: د. أحمد عتمان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠، ط١.

(ISSN: 2536 - 9555)

(ب) المصادر الأجنبية:

(1) **Cicero**: de Finibus Bonorum et malorum, Latin text with Facing English translation by Harris Rackham, The Loeb classical library, Harvard University press, 1931, 2nd edition.
(2) **Epictetus**: The manual, with an English Translation by W.A. Oldfather, Harvard University press, London, 1959.
(3) ——————: The Discourses, translated by P.E. Matheson, Global Gray, 2018.
(4) ——————: Fragments, with an English Translation by W.A. Oldfather, Harvard University press, London, 1959.
(5) **Seneca**: Letters, Vol(1), translated by Richard Mott, Loeb classical library, 1917.

ثانياً- المراجع:

(أ) المراجع العربية والمترجمة إليها:

(١) **أنتوني جوتليب:** حلم العقل" تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة"، ترجمة: د. محمد طلبة نصار، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م، ط١.
(٢) **جاك شورون:** الموت في الفكر الغربي، ترجمة: د. كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، القاهرة، ١٩٤٨م.
(٣) **د. إسماعيل مظهر:** فلسفة اللذة والألم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م، ط١.
(٤) **د. أمل مبروك:** فلسفة الموت، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠١١م.
(٥) **د. حربي عباس عطيتو:** ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان (العصر الهيللينستي)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٢١م.
(٦) ——————: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
(٧) **د. حمادة أحمد علي:** فكرة الموت في فلسفة ماركوس أوريليوس، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بقنا، العدد (٤٠)، المجلد الثاني، ٢٠١٣م.
(٨) **د. طارق عبد المحسن:** الفلسفة العملية عند إبيكتيتوس الرواقي، الدار المصرية اللبنانية، مراجعة وتقديم: د. مصطفى النشار، القاهرة، ٢٠١٥م.
(٩) **د. عبد العال عبد الرحمن عبد العال:** دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

(١٠) **رينية هوفن:** الرواقية والرواقيون إزاء مسألة الحياة في العالم الآخر، تقديم وترجمة وتعليق: د. أوفيليا فايز رياض، مراجعة: د. أحمد عتمان، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية، القاهرة، ١٩٩٩م.

(١١) **فردريك كوبلستون:** تاريخ الفلسفة، المجلد الأول" اليونان وروما"، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ط١.

(١٢) **هنري توماس، دانالي توماس:** المفكرون من سقراط إلى سارتر، ترجمة: عتمان نوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

(ب) المراجع الأجنبية:

(1) **Ambitiosa Mors**: Suicide and self in Roman thought and Literature, Edited by Dirk Obbink, Andrew Dyck, Routledge, London, 2004.

(2) **Anton F.L. VanHooff**: Autothanasia to suicide " self –killing in classical Antiquity", Taylor & Francis, E-library, 2002.

(3) **Arezina Asomatou and Others**: The act of suicide in Greek mythology, An essay on Encephalos Journal (53), 2016.

(4) **David Hume**: of Suicide, Reproduced with the kind permission on the National library of Scotland, without date.

(5) **David M. Clarke**: Autonomy, rationality and the wish to die, An essay on Journal of medical Ethics, 1999.

(6) **Gaye Unver**: the Meaning of the morality of suicide, A thesis submitted to the Graduate school of Social Sciences of middle east technical University, 2003.

(7) **Getty Lustila**: Adam Smith and the stoic principle of suicide, An essay on European Journal of philosophy, 2020.

(8) **Jason Xenakis**: Epictetus "philosopher therapist", Martinus Nijhoff, 1969.

(9) **John Cooper**: Greek philosophers on Euthanasia and Suicide, An essay on Kluwer Academic publishers, 1989.

(10) **Leonardo Tondo**: Brief History of suicide in western cultures, in A concise Guide to Understanding suicide, Edited by Stephen H. Koslow, Pedro Ruiz and Charles B. Nemeroff, published online, Cambridge University press, 2014.

(11) **Mary Evelyn**: the Death of Cato and the resulting paradigmatic shift in Roman Suicide, An essay on Berkeley undergraduate Journal of Classics, 2014.

(ISSN: 2536 - 9555)

(12) **Nils Retterstol**: Suicide in a cultural history perspective, Part (I), western Culture, attitudes to suicide up to the 19th century, An essay on Norwegian Journal Suicidology, No.(2), 1998.
(13) **Phillip Sroka**: Stoicism and the virtuous suicides in the suicides Handbook; A(somewhat) Personal History of Philosophy, University of Tampa, Ch.(4), 2019.
(14) **Walter Englert**: Seneca and the Stoic view suicide, An essay on the Society for Ancient Greek philosophy, 1990.
(15) **William Ferraiolo**: Stoic suicide " Death before Dishonor", an essay on international Journal of Philosophical practice, Vol (4) No.(4), 2018.

ثالثاً- الموسوعات والقواميس:

(أ) الموسوعات والقواميس العربية والمترجمة إليها:

(١) **جورج طرابيشي:** معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م، ط٣.
(٢) **جوناثان ري، وج.أو. أرمسون:** الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنجليزية: د. فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، راجعها وأشرف عليها: د. زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م، ط١.

(ب) الموسوعات والقواميس الأجنبية:

(1)**Margaret M. Evans**: the Encyclopedia of suicide, Forward by. Alan. L.Berman, Factson file, New York ,2003, 2nd edition.
(2)**A Dictionary of Ethics**: Translated from Russian edited by Group of Authors, Designed by Alexei Lisitsyn, progress publishers, Moscow, 1990.
(3)**Donald M. Borchert**: Encyclopedia of philosophy, Vol.(2),Thomson & Gale, New York, 2006, 2nd edition.